الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة

وزارة التعليم العالــي والبحث العلمــي

جامــعة زيان عاشــور بالجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ والآثار

شعبة التاريخ

نتائج مقاومة الأمير عبد القادر داخل الجزائر وخارجها 1853-1860

مذكرة تخرّج مقدّمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصّص مقاومة والحركة الوطنية في الجزائر

إعداد الطالبتين:

* خولة بورقبة

* أحلام دقمان

إشراف الدكتور:

* مصطفى بن عمار

السنة الجامعية : 2023/2022

كـــــلمة شـــــكر

كلمة شكر

قال تعالى: ((ربّي أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه)) سورة الأحقاف الآية 15.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يَشْكُرُ اللَّهَ من لا يَشْكُرُ النَّاسَ)) رواه أحمد وأبو داود والبخاري.

نحمد الله عزّ وجل وأشكره أن وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع ولولا ربّنا ما كنّا لننجزه.

إنّ الإعتراف لأهل الفضل وشكرهم واجب أكيد، حيث نتقدّم بالشكر الجزيل وبكل تقدير واحترام وعرفان إلى الأستاذ المشرف الدكتور " بن عمار مصطفى" الذي أشرف على بحثنا هذا وساعدنا ووجّهنا.

كما نتقدّم بالشكر الجزيل لأساتذة القسم وإلى كل من ساعدنا وأعاننا على إنجاز هذا العمل.

ختاما نسأل الله أن يوفق الجميع في الدنيا والآخرة آمين.

الإهـــــــــــــداء

الإهـــداء

إلى نبع الحنان المتدفق ، إلى من جاهدت من أجلي وتعبت حتى أرتاح وسهرت حتى أنام والدتي الغالية التي علّمتني أنّ الحياة كفاح وفقها الله في الدنيا والآخرة آمين ،

التي مهما تحدثت عنها فلن أستطيع أن أوفيها تعبها طوال هذه السنين ، أسأل الله أن يرحمها كما ربّتني صغيرة آمين.

إلى الأستاذ المشرف على بحثنا الدكتور "بن عمار مصطفى"

إلى إخوتي وجميع الأهل والأقارب والأصدقاء.

إلى كل من ساهم في أو ساعد في إنجاز هذا العمل من قريب أو من

بورقبة خولة

الإهـــداء

إلى مثال الحبّ والتضحية ، والوجه النابع جمالا وحنانا "أمّي وأبي"

العزيزان الغاليان اللّذان يتعبان من أجل أن ينيرا لي درب الحياة ،

حفظهما الله تعالى.

إلى كل أفراد العائلة وجميع الأهل والأقارب والأصدقاء.

إلى الأستاذ المشرف على بحثنا "د. بن عمار مصطفى"

إلى كل معلّم وأستاذ كان سببا في تعليمي وتوجيهي ونجاحي في كل

مسيرتي العلمية.

إلى كل من وجّهني وساعدني على إنجاز هذا البحث .

دقمان احلام

المـــــقدمـــــــــة

مقدمة

شهدت الجزائر في تاريخها أبشع الجرائم في 05 جويلية 1830 حيث تنكرت فرنسا لكل المواثيق والمعاهدات والقيم الإنسانية والحضارية، فرنسا إدعت وكذبت على العالم أنّ حربها على الجزائر هي حرب تأديبية لشهر أو لشهرين، فإذا بها تمارس القتل والتدمير، لكنها اصطدمت بمقاومة مسلحة شرسة، ادها شيوخ القبائل وأمراء البلاد ومن بين هاته المقاومات مقاومة الحاج الأمير عبد القادر الجزائري.

وبحكم تخصص المقاومة والحركة الوطنية إخترنا موضوع

نتائج مقاومة الأمير عبد القادر داخليا وخارجيا خلال الفترة الممتدة بين: 1853م-1860م.

أسباب اختيار الموضوع

بحكم تخصص المقاومة والحركة الوطنية إخترنا موضوع النتائج الداخلية والخارجية لمقاومة الأمير عبد القادر خلال الفترة الممتدة ما بين 1853 م-1860 م لعدة أسباب أولها ذاتية تتعلق باهتمامنا بالشخصيات الوطنية الثورية وتاريخ المقاومة الوطنية، لاسيما الأمير عبد القادر الجزائري وعبقريته الفذة وشخصيته المتكاملة، والتعرف على العديد من الجوانب المهمة في حياة الرجل، أما الموضوعية فهي تتعلق بمكانة الأمير عبد القادر باعتبار رمز وطني ومؤسس للدولة الجزائرية الحديثة ونتائج مقاومته.

طرح الإشكالية

تتمحور إشكالية البحث حول أهم النتائج الداخلية والخارجية لمقاومة الأمير عبد القادر خلال الفترة الممتدة ما بين 1853 م-1860 م، والتي تعد من أهم المراحل

في مقاومة الأمير عبد القادر من جهة، وتاريخ الجزائر المعاصر من جهة أخرى، **فما النتائج الداخلية والخارجية لمقاومة الأمير عبد القادر خلال الفترة الممتدة ما بين 1853 م-1860 م؟** والتي تندرج من تحتها اسئلة فرعية وهي:

- من هو الأمير عبد القادر وما دوره في قضايا الجزائر؟
- ماهي مراحل مقاومته ضد الاحتلال؟
- كيف ساهم في الدفاع عن الجزائر داخليا وخارجها؟

الإطار الزماني والمكاني

تتعلق هذه الدراسة بالجزائر وبالضبط في منطقة الغرب الجزائري حيث تمركزت مقاومة الأمير عبد القادر مع خلال الفترة الممتدة ما بين 1853 م-1860.

المنهج المتبع

للإجابة على الإشكالية المطروحة والتساؤلات التي تتفرع عنها اعتمدنا على **المنهج التاريخي التحليلي** الذي يعتمد أساسا على المادة التاريخية لدراستها وتحليلها والتعليق عليها، من أجل الوصول إلى نتائج مقاومة الأمير داخليا وخارجيا خلال الفترة الممتدة من 1853 م إلى 1860 م.

خطة البحث

لدراسة الموضوع قمنا بتقسيمه إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، خصصنا الفصل الأول لدراسة سيرة الأمير عبد القادر ومقاومته ونتائجها داخل الجزائر، أما الفصل الثاني فتناولنا هجرة الأمير عبد القادر إلى الشام ونتائج مقاومته خارج الجزائر، وتطرقنا في الخاتمة إلى مجموعة من المقاربات التاريخية والاستنتاجات.

أهم مصادر ومراجع البحث

وبطبيعة الحال فإن أي عمل أكاديمي تواجهه صعوبات ومن العراقيل التي واجهتنا هي عدم الحصول على المادة الأرشيفية باعتبار أن الموضوع دقيق جدا، ومن بينها نجد:

* د. الصلابي علي محمد: كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، ج 1، د ط، دار المعرفة، بيروت–لبنان، د ت.

* د. الصلابي علي محمد: الامير عبد القادر محيي الدين الجزائري قائد رباني و مجاهد إسلامي، د ط، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان–الأردن، د ت.

* الجزائري بديعة الحسني: طائر في سماء المجد الشهيد الأمير عز الدين الحسني الجزائري، د ط، دار الفكر المعاصر، القاهرة–مصر، 2007.

* زبيري بومدين، إقامة الأمير عبد القادر في مدينة بورصة (3581–3581م) بين الكتابات الغربية والوثائق العثمانية، مجلة المعيار، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، مجلد 24، ع 51، 2020.

* ملتقى أهل الحديث، أرشيف ملتقى أهل الحديث، ج 97، المكتبة الشاملة، د ط، 2010.

* شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1974.

* الجزائري بديعة الحسني: فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق، د ط، دار الفكر المعاصر، دمشق–سوريا، 2000.

* ملتقيات الفكر الإسلامي، محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، ج 1، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، د ط، 2005.

* سليم سوسن، الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د ط، 1985.

* بديعة الحسني الجزائري، طائر في سماء المجد الشهيد الأمير عز الدين الحسني الجزائري، د ط، دار الفكر المعاصر، القاهرة–مصر، 2007.

* بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق، د ط، دار الفكر المعاصر، دمشق–سوريا، 2000.

* برونو إيتيين، الأمير عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، دار الفرابي، بيروت، ط 1، 1997.

* بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر: من 1830 إلى 1989، دار المعرفة، الجزائر، د ط، 2006.

وغيرها من المصادر والمراجع.

صعوبات البحث

وككل باحث فقد واجهتنا صعوبات في إنجاز هذا البحث وأبرزها:

- نقص المصادر والمراجع.

- ضيق الوقت و نقص الدراسات والبحوث التي تناولت هذا الموضوع.

الفصل الأول:

سيرة الأمير عبد القادر ودولته وجيشه

- سيرة الأمير عبد القادر: مولده 25 بتاريخ سبتمبر 1807م في قرية القيطنة إلى غاية وفاته 23 مايو 1883 م بدمشق.
- دولة الأمير عبد القادر ومقاومته في الغرب الجزائر 1830-1874.

إن الحملة العسكرية الفرنسية عندما اتجهت إلى الجزائر كانت تحمل في ظاهرها أخذ ثأر حادثة المروحة من داي الجزائر بحجة أنّ قنصلها قد أهين وضرب بالمروحة من طرف الداي؛ إذ لم تمر أيام بل ساعات معدودات، على دخول الجيش الفرنسي إلى الجزائر حتى بدأت تتضح نوايا الحملة الفرنسية القريبة منها والبعيدة شيئا فشيئا، ففرنسا لم تقدم على احتلال الجزائر عام 1830 إلا بعد تخطيط صليبي، ومن الجدير بالملاحظة أنّ فرنسا قد كانت حريصة كل الحرص على افتعال حادث مع الجزائر في الوقت الذي كانت فيه أحسن البواخر الحربية الجزائرية في المشرق حيث ذهبت لنجدة القسطنطينية، وبطلب منها لأنها كانت تعرف أن الإنجليز كانوا يعدون، العدة لاحتلال الجزائر، ولكن الفرنسيين وبمجرد أن ولت أقدامهم المدنسة أرض الجزائر الطاهرة، وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام شعب يختلف عنهم تماما في اللغة، والدين والتقاليد ودرجة الحضارة. وهكذا بدأوا يحكمون بطريقة مباشرة نظرا لانعدام أية واسطة بينهم وبين الشعب ، وكانت النتيجة أن عمت البلاد الفوضى والاضطراب بسبب المقاومة العسكرية والسياسية الشديدة من جميع ا لأطراف الجزائرية.

ويعد الأمير عبد القادر ابن محي الدين المعروف بعبد القادر الجزائري أوّل من حارب الاحتلال الفرنسي للجزائر إذ قاد مقاومة شعبية لـ15 عاماً متواصلة إبّان بدء غزو فرنسا لبلاده، حيث كان الأمير عبد القادر قائداً سياسياً وعسكرياً ومجاهداً من طراز فريد، فعند بداية الاحتلال في يوليو/تمّوز 1830 أخذ الأمير عبد القادر، وكان وقتئذ ابن الـ22 ربيعاً، يفكر في كيفية مقاومة فرنسا الغاشمة، حتّى أطلق مقاومته ضدها في 27 يناير/كانون الثاني 1832، وعمل على توحيد صف أمته ليجعلها أساس لنهضة دولته رغم عراقيل الاستعمار، ولهذا تطرقنا من خلال الفصل الأول إلى التعريف به وبمقاومته وإبراز نتائجها.

المبحث الأول: سيرة الأمير عبد القادر

المطلب الأول: نسب الأمير عبد القادر ومولده ونشأته وأسرته

1/ نسبه

هو عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد بن مختار بن عبد القادر ابن أحمد المختار بن عبد القادر بن أحمد –المشهور بابن خده– بن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر ابن إدريس الأكبر بن عبد الله المحصن بن حسن المثنى بن حسن السبط بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، فقد كانت أسرة الأمير عبد القادر تعتز بامتداد حلقاتها إلى هذا المعدن الشريف، ففي القرن الثامن هاجر إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المغرب، هارباً من بطش العباسيين، وأنشأ دولة الأدارسة وعاصمتها فاس، ودام حكمها حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر[2]. وبعد أن سكنت بعض سلالات العائلة الكبيرة الأندلس، انتقل أحد أجداده عبد القوي الأول في نهاية القرن الخامس عشر . بعد سقوطها عام (1492م) . واستقر بقلعة بني حماد قرب سطيف، وذكر محمد محمد الجوزي أن عبد القادر بن أحمد المعروف بابن خده . وهي مرضعته . كان حاكماً لمناطق غريس، عالماً مهيباً فقيهاً تولى الرئاسة بعد موت من خلفهم من

[1] الصلابي علي محمد: كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، ج 1، د ط، دار المعرفة، بيروت-لبنان، د ت، ص 353.

[2] الصلابي علي محمد: الامير عبد القادر محيي الدين الجزائري قائد رباني و مجاهد إسلامي، د ط، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان-الأردن، د ت، ص 110.

أجداده الأدارسة، وألف كتباً كثيرة، وتوفي رحمه الله في القرن العاشر للهجرة، وأما جده مصطفى فقد أسس الزاوية القادرية، نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، بعد أن زار مدينة بغداد عام (1791م). واشتهرت أسرته بالورع، وكانت قدوة للناس في الجهاد والعلم، وتوفي جده مصطفى بعين غزالة، قرب مدينة درنة في إقليم برقة شرق ليبيا عام (1797م) عند عودته من الحج، ودفن في نفس المكان وما يزال قبره معروفاً حتى الان، ولد والده محيي الدين بقرية القيطنة عام (1776م)، ودرس على يد أبيه مصطفى، وورث عنه مشيخة الزاوية القادرية، واشتهر والده بسداد الرأي، وغزارة العلم، وقاوم ظلم بايات الغرب الجزائري منذ عهد علي قارة الذي حكم من عام (1812م) إلى (1817م). واخرهم حسن بن موسى الذي حكم من (1827م) حتى (1830م)[1].

2/ مولده ونشأته

ولد في (25 سبتمبر 1807م) في قرية القيطنة، وأمه السيدة بنت عبد القادر ابن خدة، وهي تنحدر من بيت علم وتقوى، من أولاد سيدي عمر بن دوحة، تلقى دروسه الابتدائية في مسقط رأسه تحت إشراف والده ؛ الذي بذل قصارى جهده، ولم يدخر جهداً في سبيل ذلك، فأخذ منه القراءة والكتابة وأتقنها في سن مبكرة جداً، ولفت نظر والده ذكاؤه ونبوغه، وختم القرآن الكريم قبل أن يبلغ الحادية عشرة، وأصبح فارساً يشار إليه، وبرع في تلقي العلوم التاريخية والفلسفية والفقهية، وتعلم مبادئ شتى العلوم اللغوية والشرعية، ونال درجة الطالب، وكلف بتحفيظ القرآن للأطفال، وإلقاء الدروس والتفسير في الزاوية. ومن أجل إتمام دراسته سافر عام (1821م) إلى مدينة أرزيو الساحلية ؛ التي تقع شمال مدينة معسكر، على بعد حوالي سبعين كيلو متراً، وذلك على يد القاضي الشيخ أحمد

[1] الجزائري بديعة الحسني: طائر في سماء المجد الشهيد الأمير عز الدين الحسني الجزائري، د ط، دار الفكر المعاصر، القاهرة-مصر، 2007، ص 69.

بن الطاهر البطيوي؛ الذي كان مشهوراً بغزارة العلم وسعة الاطلاع، وبعدها رحل إلى مدينة وهران إلى مدرسة العالم الفقيه أحمد بن خوجة، صاحب رائعة در الأعيان في أخبار وهران، وتوسع في المعارف اللغوية والفقهية والنحو والبيان والفلسفة والمنطق وصقل ملكاته الأدبية والشعرية، واجتهد في حضور حلقات العلم لعلماء وهران، مثل الشيخ مصطفى الهاشمي والشيخ بن نقريد، وقضى عامين كاملين في هذه الرحلة العلمية، وعاد إلى مسقط رأسه وتزوج بابنة عمه الانسة خيرة بنت أبي طالب عام (1823م) وأقام في القيطنة معلماً[1].

وكانت له رحلات علمية للقرويين والزيتونة، وكانت البيئة التي عاش فيها بيئة إسلامية وتربوية إيمانية واجتماعية متماسكة، وفي ظلها تكونت شخصيته، وهي التي أثرت في تكوينه النفسي والجسماني والفكري والاجتماعي والسياسي، وهذا التكوين يعود إلى عوامل منها:. العامل الوراثي والبيولوجي والعقلي للأمير .. البيئة الثقافية والاجتماعية التي نشأ في ظلها وعاش فيها. لقد سمع الأمير عن ذلك التصوف من والده الذي لا شك قد حُفر في ذاكرته، وهو محاربة والده لأصحاب الطرق الصوفية الشاذة. فقد جاء في كتاب تحفة الزائر: أصل ابن الشريف من الكسانة قبيلة بوادي العبد قرب غريس، أخذ العلم في صغره عن سيدي محيي الدين في مدرسة القيطنة ثم رحل إلى المغرب الأقصى ولقي الشيخ العربي الدرقاوي، وسلك طريقته وقفل راجعاً إلى وطنه، وجاء إلى حضرة سيدي محيي الدين زائراً، وفي بعض الأيام تكلم بحضرته بما يوجب تأديبه شرعاً، فأدبه سيدي الجد بالسياط واستتابة. فهذا الحادث التاريخي ليس دليلاً فقط على منزلة والد الأمير عبد القادر ومكانته الاجتماعية والدينية، إنما هو دليل على الوقوف في وجه أصحاب الطرق المنحرفة، ومحاربة البدع ومحاربة الابتعاد عن الشرع والسنة والإجماع، والأمير عبد القادر أيضاً أثناء

[1] الصلابي علي محمد: كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 354-355.

حكمه وفي عهد دولته حارب أصحاب الطرق المنحرفة، ووقف في وجه نشر دعوتهم وفضح أمرها. فالطرق الصوفية في شمال إفريقيا أحد الروافد الثقافية والفكرية، وقد تعامل معها العلماء وفق المعايير العلمية القائمة على العلم والإنصاف في الأفراد والمناهج، لقد كان السيد محيي الدين والد الأمير عبد القادر من الشخصيات المهمة في التأثير على ابنه الأمير، وكان رجلاً مهاباً محترماً، ليس لكونه قادريا كما تردده أقلام الدعاية فقط. وإنما لكونه عالماً فقيهاً وحكيماً وشجاعاً، امتاز بالأخلاق الإسلامية، والصفات الحميدة، والنبل الكريم، وعلو منزلته العلمية، وهيبة قبيلته بني هاشم التي يمتد نسبها إلى الإدارية وحتى عند ولاة العثمانيين كانت له منزلة خاصة، وكان مرهوب الجانب من قبلهم جميعاً بدافع تقدير ومحبة، فأمر طبيعي ظهور هذه الاثار الوراثية على أولاده[1]، ومنهم الأمير عبد القادر، فقد برزت هذه الاثار على الأمير في سن مبكرة، من ذكاء ومواهب فكرية وسرعة بديهة وشجاعة ومهارة بفنون الفروسية، من ركوب الخيل والسباحة واستعمال السيف، إلى جانب نفس أبية وإيمان قوي ومحبة وجدانية وعقلية لخالق هذا الكون ومبدع تلك الطبيعة الغناء التي نشأ في أحضانها، فالحياة البسيطة في هذه المزرعة والمناخ السياسي الذي نشأ فيه، كان صحياً ومتماسكاً في جزء من دولة كبرى أمنت الاستقرار والازدهار للجزائر وحاربت البدع وأصحابها[2].

3/ أسرته

1/ الشيخ محي الدين: ولد الشيخ محي الدين في العقد السادس من القرن الثامن عشر الميلادي في قرية القيطنة على الضفة اليسرى لواد الحمام، كان الشيخ محي الدين متزوجا بأربع نساء هن:

[1] الجزائري بديعة الحسني: فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق، د ط، دار الفكر المعاصر، دمشق-سوريا، 2000، ص 69.

[2] الصلابي علي محمد: كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 356.

- العريضة: التي ولدت له محمد السعيد ومصطفى.
- الزهرة: التي أنجبت له الأمير عبد القادر وبنتا اسمها خديجة.
- فاطمة: التي ولدت له الحسين.
- خيرة: التي ولدت له المرتضى.

في سنة 1826 تمكن الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر من زيارة الأماكن المقدسة مروراً بتونس وطرابلس فالإسكندرية ثم القاهرة، وتوجها منها إلى مكة، وزار العراق بعد أداء فريضة الحج ، وعادا في السنة الموالية إلى الحج، ورجعا إلى الجزائر عبر البحر فكان في إستقبالهما جمع من العلماء والأعيان ، الأمر الذي زاد من سمعة الشيخ محي الدين ، وقد عرضت عليه الإمارة فرفضها وقبل الجهاد[1].

- في 17 أبريل 1832، قام الشيخ محي الدين بشن هجوم مع رجاله على دورية استطلاعية فرنسية في ضواحي وهران.
- في 01 ماي 1832 وجه الشيخ محي الدين تحد إلى الجنرال، قائد قوات وهران بالجلاء عن المدينة أو الخروج إلى القتال، لكن هذا القائد رفض الرد وصمت.
- في 03 ماي 1832، شن هجوما على وهران مع عدة مئات من رجاله كان الأمير عبد القادر بينهم.
- في 19 سبتمبر 1832 نظم حملة هجوم على وهران وكان فيها على رأس ألف رجل، وكانت حملة أخرى في 23 أكتوبر من نفس السنة، وكان فيها على رأس 500 مقاتل وألحق بالفرنسيين الهزيمة، وحينما إستمر المن يتدهور عرض الأشراف والأعيان على الشيخ محي الدين الإمارة وألزموه بقبولها

[1] محمد باشا ابن الأمير عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج 1، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2013، ص 06.

لنفسه أو لإبنه . عبد القادر . وواصل الشيخ نشاطه العلمي والسياسي والعسكري، إلى أن وافته المنية سنة 1833 ، رحمه الله .

2/ محمد بن عبد القادر: بن محي الدين الحسيني، ولد بقرية القطينة، مسقط رأس والده الأمير عبد القادر سنة 1256 هـ الموافق لـ 1840 م، وتعلم بها. وبعد نفي والده إلى طولون هاجر رفقة العائلة إلى سوريا، حيث إلتحق بالجيش العثماني حاملاً رتبة فريق، وقد كتب:

- كتاب: [تحفة الزائر في التاريخ الجزائري ومآثر الأمير عبد القادر].
- وله كتاب [عقد الأجياد في الصافنات الحداد].
- وله رسالة سماها [ذكرى ذوي الفضل في مطابقة أركان الإسلام للعقل]، وثانية سماها: [كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب] وأخرى أطلق عليها [الفاروق والترياق في تعداد الزواج والطلاق][1].

المطلب الثاني: بيعة الأمير عبد القادر ودولته

1/ بيعة الأمير عبد القادر

أ/ البيعة الأولى ونصها

بعد فشل المقاومة الرسمية في وقف زحف الاحتلال الأجنبي، صمم الشعب على التصدي للعدوان رغم فقدانه لقيادة وطنية واحدة لتجنيده، لم تقض على القوات الفرنسية، مما استدعى اجتماع أشراف وأعيان الجزائر من أجل تولية زعيم عليهم يقودهم ويوحد صفوفهم، ووقع اختيارهم على محي الدين والد الأمير عبد القادر، لكنه رفض الإمارة وقبل الجهاد[2]، فقد التفت حوله الجموع من جديد، وخاصة أنه حقق عدة انتصارات على العدو، وقد كان عبد اقادر على رأس الجيش في كثير من هذه

[1] محمد باشا ابن الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص 07.
[2] بن سمشة آمال: الأداء البشري في الإدارة المحلية، د ط، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان-الأردن، 2018، ص 121.

الانتصارات، اقترح الوالِدُ أن يتقدم "عبد القادر" لهذا المنصِبِ، فقَبِلَ الحاضرون، وقبل الشابُّ ذلك، وتمت البيعةُ، ولقبه والده بـ "ناصر الدين" واقترحوا عليه أن يكون "سلطانًا" ولكنه اختار لقب "الأمير"، وبذلك خرج إلى الوجود "الأمير عبد القادر ناصر الدين بن محيي الدين الحسني"، وكان ذلك في 13 رجب 1242 هـ الموافق لـ 27 نوفمبر 1832 م[1].

وحتى تكتمل صورة الأمير عبد القادر، فقد تلقى الشاب مجموعة من العلوم فقد درس الفلسفة (رسائل إخوان الصفا – أرسطوطاليس – فيثاغورس) ودرس الفقه والحديث فدرس صحيح البخاري ومسلم، وقام بتدريسهما، كما تلقى الألفية في النحو، والسنوسية، والعقائد النسفية في التوحيد، و ايساغوجي في المنطق، والإتقان في علوم القرآن، وبهذا اكتمل للأمير العلم الشرعي، والعلم العقلي، والرحلة والمشاهدة، والخبرة العسكرية في ميدان القتال، وعلى ذلك فإن الأمير الشاب تكاملت لديه مؤهلات تجعله كفؤًا لهذه المكانة، وقد وجه خطابه الأول إلى كافة العروش قائلاً: "... وقد قبلت بيعتهم (أي أهالي وهران وما حولها) وطاعتهم، كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه، مؤملاً أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين، ورفع النزاع والخصام بينهم، وتأمين السبل، ومنع الأعمال المنافية للشريعة المطهرة، وحماية البلاد من العدو، وإجراء الحق والعدل نحو القوى والضعيف، واعلموا أن غايتي القصوى اتحاد الملة المحمدية، والقيام بالشعائر الأحمدية، وعلى الله الاتكال في ذلك كله دولة الأمير عبد القادر وعاصمته المتنقلة[2].

[1] عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح ابو حسن شكر: الإحياء بعد الإنساء، ج 2، ط 1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص 213.

[2] عبد القادر الجزائري: بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2004، ص 07.

نص عقد البيعة العامة

. بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذي جعل نصب الإمام من مهمات الدين لتصان به النفوس والأموال وتجتمع كلمة المسلمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

لقد قال صلى الله عليه وسلم: إن الله يحمي بالسلطان مالا يحمي بالقرآن، هذا في الزمان الذي فاض فيه العدل، ونضب فيه الجهل، فما بالك بالزمان الذي كثر فيه الباطل وانتشر وخفي فيه الحق ولم يظهر له أثر حتى أن أعداء الله الكافرين ملكوا كثيرا من بلاد الإسلام وتشتت الكلمة واختل النظام ولم يجد الناس لقتالهم سبيلا. ولا يكون للجهاد دليلاً ، فلجأوا إلى الله تعالى وسألوه أن ييسر لهم من يقوم بأمر دينهم، فما وجدوا من تتفق عليه كلمة أهل الحل والعقد سوى السيد محي الدين بن مختار بكماله وكثرة ما عنده من الأعوان والأنصار فطلبوا منه أن يبايعوه على السمع والطاعة، واعتذر إليهم لكبر سنه. فأتاه بعض من علماء غريس ، وهم من الصالحين ، فقالوا له :" إن أولياء الله تعالى قد اتفقوا على نصب ولدك . عبد القادر . لنصر دين الله ، ورأى أن ولده مستعد لهذا الأمر ، ووافقهم على نصبه ونصرته لكونه ذا حزم وعزم وشجاعة وعقل سليم ، فاجتمع أهل الحل والعقد وبايعوه منغير طلب منه .فحضر للبيعة جميع أهل غريس وأعلنوا جميعا بطاعته ونصرته والرعاية له ، بحيث أنهم يحمونه بما يحمون به أنفسهم وأموالهم ، وأن ينصروه نصرا مؤزرا ، واتفق علماء الإقليم على بيعته وطاعته ولم يخالف منهم أحد ، وهم في حال طوعهم

واختيارهم فعلى من بايع أن يبذل جهده في نصرته وعضده لقول الصادق الأمين : "الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه "[1].

وحضر ما ذكر من العلماء، السيد محمد بن حواء بن يخلف، والسيد محمد بن عبد الله المشرفي، والسيد عبد الرحمن بن الحسن الدحاوي، وكافة أبناء سيد أحمد بن علي وجميع علماء غريس وأشرافهم لهذه البيعة، وحضر كاتبه، محمد بن عبد القادر عامله الله بلطفه. في رجب 1248 هـ الموافق لـ 27 نوفمبر 1832 م.

ب/ البيعة الثانية ونصها

أما البيعة الثانية فتمت في مسجد بمعسكر يسمى حاليا بـ" مسجد سيدي الحسان " حيث حررت وثيقة أخرى للبيعة وقرئت على الشعب (وفود تمثل مختلف المناطق والقبائل) وتولى كتابتها العالم الفذ " محمود بن حوا المجاهدي" وجاء في هذه الوثيقة بعد الديباجة : ((لما انقرضت الحكومة الجزائرية من سائر المغرب الأوسط واستولى العدو على مدينة الجزائر ومدينة وهران ، وطمحت نفسه العاتية إلى الاستيلاء على الجبال والسهول ، والفدافد والتلال ، وصار الناس في هرج ومرج وحيص وبيص ...قام من وفقهم الله الهداية من رؤساء القبائل وكبرائها وصناديدها وزعمائها ، فتفاوضوا في نصب إمام يبايعونه على كتاب الله و السنة فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل إلا ذا النسب الطاهر ن والكمال الباهر ، ابن مولانا السيد محي الدين ، فبايعوه على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم)). 13 رمضان 1248 هـ الموافق لـ 4 فبراير 1833 م.

2/ وضعية البلاد عند مبايعة الأمير

وضعية البلاد عند مبايعة الأمير عبد القادر:

[1] محمد باشا ابن الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص 09.

بينما كانت فرنسا تثبت وتدعم موقفها في الجزائر وضواحيها والمتيجة، حيث نهبت مدينة المدية من طرف البارون دي روفيفو ؛ فإن هذا الأخير قد أخذ على عاتقه مذبحة قبيلة الأوفياء بالقرب من الحراش، وهذا ما أثار غضب قادة القبائل الذين عينوا بن زعموم قائداً لهم، لقد اضطر هذا الأخير إلى التراجع نهائياً حينما تبين له ضعف المتمردين إثر السحق السريع لتمردهم. كان بايلك الجزائر واقعاً تحت السلطة الفعلية للمحتل ؛ الذي كان يثبت وجوده في البليدة ؛ التي كان ينوي انطلاقاً منها وضع حد لهجومات قبيلة حجوط، وبفضل مد الطرق التي تربط بين المراكز المتعددة في المنطقة، والتي كانت تحت تصرف «المكاتب العربية» المكونة حديثاً، كان الفرنسيون هكذا يظنون أنهم سيتمكنون من بسط الغزو على كافة أرجاء البلاد، وقد قام المحتل أيضاً بإدماج قوات السبايسية كأعوان يرافقون الجنود في مهماتهم، كذلك ظهرت بعد ذلك فرقة القناصة تولى قيادتها ابتداء من (1831م) قاطع طريق حقيقي ذو أصول مشكوك في أمرها قدَّم للاحتلال خدمات عظيمة، غير أن ثمنها تمثل في العديد من أعمال النهب والتقتيل، خاصة في منطقة القبائل وعنابة، وقد عرف باسم يوسف، وقد حمل شارع كبير في أعالي الجزائر اسمه هذا طوال الفترة الاستعمارية، وكان لفرنسا نية مبيتة ثابتة في غزو كامل البلاد، على الرغم من الصعوبات التي اعترضتها في التيطري وفي الشرق من طرف أحمد باي، وكذلك الاختلاف في وجهات النظر بين حكامه والتي ترجع أساساً إلى اعتبارات خاصة بالسياسة الداخلية.

غير أن ما واجهه من عداء من طرف السكان اضطر فرنسا إلى التصرف بمرونة والبحث عن وسطاء من بين القادة المؤثرين، ولو اضطره ذلك إلى إخضاعهم بعد تقوية نفوذه عليهم، باستعمال الرشوة والخديعة والقوة، هكذا كانت خطة الغزو على مراحل والتي بيتها وزير الحرب «سولت» في التعليمات التي أرسلها إلى جنرال في (الميدان . الجزائر) بتقدّم بطيء انطلاقاً من القواعد العسكرية في الساحل بغية

السعي في تحقيق نجاح دائم وثابت، وذلك عن طريق مؤسسات زراعية يقوم الأوروبيون بإنجازها.

وهكذا فالوضعية كانت مقلقة للغاية، ذلك أن الفرنسيين وهم يحتلون كل الساحل من وهران إلى عنابة كانوا قد بدؤوا . بكل جراءة . في سياسة للتوطين في المناطق المحتلة، كما شرعوا بتصلب في ضم القبائل إلى صفوفهم، أو تحييدها وشلها، إذا ما تعذر ذلك.

بهذا فإن المهمة المناطة بالأمير الشاب كانت من الصعوبة بمكان، بالرغم من الحماسة التي تلت بيعته، فكان عليه أن يحسب حساب قادة القبائل الذين أبدوا له عداءهم، كما كان عليه أيضاً أن يتحكم في اندفاع مناصريه ؛ لأجل هذا تقيد بتكوين جيش نظامي، وكانت مدينة معسكر التي جعل منها عاصمته المؤقتة مكان التحضير لتدريب جيشه، وبهذا فإن هذه العاصمة القديمة لبايلك الغرب أخذت مكانة كبيرة في دولة الأمير عبد القادر.

لقد ترك انهيار الإدارة التركية خلافة هذه الأخيرة إلى قادة قبائل المخزن ؛ الذين لم يكتفوا برفض الاستجابة إلى نداء الأمير الشاب الذي لم يكن ينتمي إلى طبقتهم الاجتماعية، وإنما تقربوا إلى المحتل الفرنسي ليحافظوا على امتيازاتهم.

والأمير عبد القادر الذي لم يكن يجهل شيئاً عن مساوماتهم كان ينتظر الوقت المناسب لينتهي من أمرهم، وكان مكتفياً في هذا الوقت بإثبات مكانته عند القبائل الموالية له، كمدافع عن القضية الوطنية، مكلف بمهمة طرد المحتلين الفرنسيين من الأراضي المغتصبة، فكان ينظم حكمه طبقاً لهذا المفهوم.

3/ دولة الأمير عبد القادر

بادر الأمير عبدالقادر بإعداد جيشه، ونزول الميدان ليحقق انتصارات متلاحقة على الفرنسيين، وسعى في ذات الوقت إلى التأليف بين القبائل وفض النزاعات بينها، وقد كانت بطولته في المعارك مثار الإعجاب من العدو والصديق فقد رآه الجميع في موقعة (خنق النطاح) التي أصيبت ملابسه كلها بالرصاص وقُتِل فرسه ومع ذلك استمر في القتال حتى حاز النصر على عدوه، وأمام هذه البطولة اضطرت فرنسا إلى عقد اتفاقية هدنة معه وهي اتفاقية (دي ميشيل) في عام 1834م، وبهذه الاتفاقية اعترفت فرنسا بدولة الأمير عبدالقادر، وبذلك بدأ الأمير يتجه إلى أحوال البلاد ينظم شؤونها ويعمرها ويطورها. وضرب نقودا من النحاس والفضة سماها (المحمدية)، وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند وجعل مدينة (معسكر) حاضرة إمارته ووضع للدولة دستورا تضمّن مجموعة القوانين التي نظمت الدولة[1]، من ناحية الإدارة المركزية، فإن الحكم المركزي في هذه المرحلة تمثل في المؤسسات التالية:

1- **الأمير**: كرئيس للدولة.

2- **الحكومة**: وتمثل مجلس الوزراء، حيث كانت تسمى الوزارة بالنظارة وقد شكلت الحكومة طبقا للمعايير عصرية على أساس التخصص الفني وتقسيم العمل، وتشمل الوزارات التالية: وزارة الخارجية، والداخلية، والمالية، والخزينة، والخزينة الخاصة، والأعشار وصنوف الزكاة، والأوقاف.

3- **مجلس الشورى**: ويمثل السلطة التشريعية، يتكون من 11 عضوا، ويشترط في عضوية المجلس، أن يكون المرشح من أكفاء علماء وفقهاء البلاد.

[1] عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص 08.

4-**القضاء:** إهتم الأمير بالقضاء والقضاة من حيث التكوين والاستقلالية والراتب الهام، الذي يقيم شر النزوات والاهواء، وكان القضاء على ثلاث أنواع: قضاء عادي، قضاء سياسي، وقضاء عسكري، إن تنظيم الدولة الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر، ولم يقتصر على المستوى المركزي بل امتد إلى المؤسسات المحلية، بحيث نظمت على غرار الهيئات المركزية، وبنفس القواعد والمعايير الوطنية[1].

من الناحية الإدارية، ضمت دولة الأمير خلال الفترة (1832م-1837م) أربعة أقاليم، وعين على رأس كل منها خليفة. وسنلاحظ بعد حين وجود أربعة مرابطين من ضمن هؤلاء الخلفاء، وأيضا قادة أجوادا:

- إقليم معسكر، وعلى رأسه الخليفة مصطفى بن التهامي، صهر الأمير.
- إقليم تلمسان، وعلى راسه الخليفة سيدي محمد البوحميدي الولهاصي، مرابط منطقة طرارة.
- إقليم مليانة، وكان على رأسه أو الخليفة الحاج محيي الدين بن المبارك آغا العرب سابقا ومرابط القليعة، ثم خلفه ابنه محمد بن علال.
- إقليم المدية، وكان على رأسه أولا الخليفة مصطفى بن محيي الدين، أخو الأمير، ثم خلفه محمد بن عيسى البركاني[2].

وطبعا لم يكن الأمر بهذه السهولة، فقد وجد الأمير أوضاعا مزرية تتسم بالفوضى في أو ساط العامة، كما عايش انهيار "الإدارة التركية" الذي خلف وراءه إرثا ثقيلا على المجتمع، تمثل في رؤساء المخزن الذين رفضوا الاستجابة لنداء "الأمير الشاب" الذي كانوا يرون فيه أنه لا ينتمي إلى صنفهم فلم يستجيبوا له، بل وتقربوا من

[1] عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص 122.
[2] بوهند خالد، النخب الجزائرية: 1892-1942، د ط، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة-قطر، 2020، د ص.

المحتل الجديد حفاظا على امتيازاتهم، زد على ذلك بعض القبائل التي رفضت أن تنطوي تحت لوائه، بل هناك من كانت تعمل ضده، مما أدى إلى صعوبة التحكم في الأوضاع، إلا أنّ الأمير من خلال المعاهدات التي أبرمها، توصّل للحصول على الاعتراف من طرف الدولة الفرنسية كـ: "أمير المؤمنين"[1].

المبحث الثاني: جيش الأمير عبد القادر ومقاومته

المطلب الأول: تأسيس الجيش النظامي

بعد معارك طاحنة خاضها الأمير ضد الجيوش النظامية الفرنسية، أدرك ضرورة خلق جيش نظامي قوي، يدعم به أهدافه الداخلية والخارجية، فاتجه إلى إنشاء جيش نظامي قوي يدعم به أهدافه الداخلية والخارجية، فاتجه إلى إنشاء جيش حديث، واهتم بتدريبه على أحدث الفنون العسكرية، وزوده بالأسلحة المتقدمة، وقبل أن يباشر بتحقيق هذه الفكرة عقد مجلساً عاماً من رجال الدولة وأعيانها، وأخذ موافقتهم على هذا الإجراء، ثم عمم بلاغاً على الأهالي جاء فيه: ليُبلغ الشاهد الغائب، أنه صدر أمر مولانا ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر في البلاد كافة، فمن أراد أن يدخل تحت اللواء المحمدي، ويشمله هذا النظام ؛ فليسارع إلى دار الإمارة في مدينة معسكر ؛ لتسجيل اسمه في الدفاتر الأميرية. تلقى الشعب الجزائري هذا البلاغ بارتياح كبير، وسارع الشباب وتسابقوا للالتحاق بالجيش النظامي الفتي، حتى بلغ عداد أفراده عام (1839م) ثلاثة وستين ألف مقاتل، وقد قسم هذا الجيش إلى ثلاث فرق:

أولاً: فرقة المشاة، ولّى على قيادتها من مشاهير الأبطال قدور بن بحر.

ثانياً: فرقة من الخيّالة، ولّى على قيادتها عبد القادر بن عز الدين.

[1] بن سمشة آمال، مرجع سابق، ص 121.

ثالثاً: فرقة من المدفعية، ولّى على قيادتها محمد السنوسي.ولقد اختار الأمير جميع رؤساء الجند من ذوي الشجاعة والبأس والذكاء من الذين يتحلون بالإيمان والصبر، وانتقاهم من أشراف البيوتات وزعماء القبائل، مثل محمد القوشامة وسالم الزنجي وأحمد القدور وغيرهم[1].

ثم وضع قوانين في كتاب سماه «وشاح الكتائب» ضم أربعة وعشرين قانوناً، لها أصول ولها فروع. وقد وضعت جميعاً لمصلحة هذا الجيش المحمدي، ولسلامة تكوينه العسكري، ولضمان قدرته على القتال وتحمل المكاره، وللتدريب على الجهاد والصبر. وتمكن الأمير عبد القادر من الصمود بهذا الجيش الناشئ في وجه أكبر إمبراطوريات العالم الاستعماري القديم، وعلى الرغم من إمكانات فرنسا الضخمة تمكن الأمير من محاربتها سبعة عشر عاماً، استولى خلالها على أكثر من ثلثي مساحة الجزائر حالياً، وانتصر عليها في الكثير من المعارك الطاحنة التي بقي ذكرها يتردد حتى الان على ألسنة الفرنسيين قبل الجزائريين، لما وجدوه من معاملة شريفة لبطل مسلم عظيم، حتى غزت أخباره بيوتهم في فرنسا نفسها، لأن الأمير عبد القادر جسّد جميل المروءات ومحاسن الفضائل في معاملة الأسرى والجرحى من جيش أعدائه[2].

وشكل الأمير عبد القادر بجانب الجيش الرسمي قوى غير نظامية تعمل على حماية مناطقها، غير أنها كانت تستطيع عند الضرورة أن تنخرط في الجيش النظامي، وذلك فقط لتلبية نداء الأمير أو خلفائه في الولايات، وهذه القوى غير النظامية كانت تتكون غالباً من المتطوعين، وكان عليها أن تتجهز على حسابها الخاص، وكان عددها بالألوف تزيد وتنقص، وفيما يخص تسليح جيشه النظامي يعطي الأمير نفسه

[1] الصلابي علي محمد: كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 374.
[2] الصلابي علي محمد، الامير عبد القادر محيي الدين الجزائري قائد رباني ومجاهد إسلامي، مركز الكتاب الأكاديمي، بيروت، د ط، د ت، ص 488.

التوضيحات التالية: كل جنودي النظاميين كانوا مسلحين ببنادق فرنسية أو إنجليزية، تحصلت عليها خلال معاركنا ومن الفارين من الجيش أو بشرائها من المغرب.. وكان الكبريت يأتي من فرنسا، أما ملح البارود فكنت أجده في كل مكان خلال زمن السلم، وكانت المدن الساحلية الفرنسية تزودني بالرصاص، وقد أعطاني المغرب كمية معتبرة منه، كما أنني تمكنت من استغلال منجم للرصاص في الونشريس. وقد كان الأمير يسهر شخصياً على كيفية استعمال الذخائر، ويعطي أوامر صارمة لخلفائه كي يشحوا في عملية صرفها[1].

المطلب الثاني: هيكلة الجيش النظامي

كانت المشاة مقسمة إلى كتائب تضم كل منها (1000) رجل يقودهم اغا، وكانت هذه مقسمة إلى سرايا من (100) جندي يقودها قائد، وكان يقود كل من نصفيها سياف، وكل عشرين رجل كان يقودهم ضابط صف، وكل عشرة يقودهم عريف يسمى جاويش.كان على قادة كل هذه التشكيلات أن يتفقدها الاغا يوم السبت، والسيَّاف يوم الخميس والسبت، أما الجاويش فكان عليه أن يتفقد رجاله كل يوم صباحاً ومساء. وقد كان الانضباط جد صارم، وكان يراعي تطبيقه بمنتهى الدقة، وكانت مواده مجموعة في شكل قانون عام أقامه وكتبه الأمير نفسه. كما كان سلم الرتب محترماً بمعنى الكلمة، وكانت كل مخالفة يعاقب عنها عقاباً شديداً، وكان على الجندي أن يحافظ على نظافة سترته التي كان مسؤولاً عنها، وكذا كانت الحال بالنسبة للسلاح الذي في حوزته، كانت العقوبات على الإخلال بهذه القوانين تتراوح ما بين السجن إلى الحكم بالإعدام . وهذا الأخير كان يقام في حالة الخيانة، أو الفرار في زمن الحرب . ومروراً بنزع الرتب والعقوبات الجسدية، كان للجندي الحق في راتب، وكان الخيالة يتلقون ضعفه، وكان يتلقى غذاءه عيناً، ووفيراً في زمن السلم،

[1] الصلابي علي محمد: كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 376.

ولكنه كان يخفض في زمن الحرب إلى بعض الكعك أو الروينة، المصنوعة من طحين القمح المقلي، وكان على كل شارة علامة مكتوبة[1].. الآغا كان يحمل: الصبر مفتاح النصر.. وبالنسبة للسياف: لا أضر من المخالفة وعدم الطاعة.. أما لرئيس المدفعية فكانت: وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى. وكان اللباس العسكري يختلف بحسب الرتب، فكان من الجوخ بالنسبة للضباط، ومن الكتان بالنسبة للجنود، أما الأسلحة فكانت تشتمل على المدفع والهاون «مهراز» والبندقية «مكحلة» والسيف والحربة. وكانت الألبسة والأسلحة والذخائر كلها تصنع في ورشات الدولة بتاكدمت، معسكر، تازة، بوغار، مليانة..إلخ أو كانت تستورد من أوروبا عن طريق المغرب. وكان موظفون سامون يدبرون هذه الورشات، وكان المعلمون خاصة من الأجانب يدّرسون المهنة العسكرية للشباب المجندين، وكانت هناك مكافئات مخصصة للذين يلمعون، كما كانت تدفع معاشات للمصابين، ولعائلات الذين قتلوا في المعارك، كما كان هناك وسام لمكافحات الأعمال البطولية، ويتشكل من صفيحة معدنية ينقش عليها (3 أو 5 أو 7) ريشات حسب أهميتها، ولهذا كانت تسمى «ريشة»، كانت الشمسية الرمز المميز للسيادة، وهي التمييز الوحيد الذي حظي به الأمير نفسه، وكان يحملها فارس عندما يكون الأمير راكباً، أو أحد من المشاة عندما يكون مترجلاً. وكان في الحالتين محاطاً بالحامية السوداء. وكان العلم يحتوي على لونين: الأخضر والأبيض وكان هذا اللون الأخير بشكل دائرة طرزت في وسطها يد مفتوحة، وقد استوحي منه العلم الجزائري الحالي، والفرق الوحيد يأتي في استبدال اليد بهلال أحمر ما بين اللونين الأبيض والأخضر اللذين بقيا. ولكي تثبت روح التضحية والانضباط في هذا الجيش، فقد كان قانونه العام يُقرأ لكل الوحدات مرتين وأحياناً ثلاث مرات في الشهر، كما كانت الشعارات التي يتضمنها تخاط على أكمام الجنود والضباط على حد سواء، نذكر من بينها: (لا أنفع من التقوى والشجاعة) على

[1] الصلابي علي محمد: كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 376.

الكتف اليمنى للاغا، وعلى اليسرى: (لا أضر من المخالفة وعدم الانضباط).وكان الأمير عبد القادر نموذجاً ومثالاً للخصائل الأخلاقية الرفيعة والقتالية المحترفة، فقد أثار في نفوس جنوده وضباطه ومواطنيه صوراً رائعة للتفاني والإخلاص في خدمة القيم والمبادئ، والحرص على تحرير الوطن من المحتلين الغزاة، ويقرُّ كل كتَّاب سيرته بما فيهم الفرنسيون أنه كان نزيهاً، وأنه كان يملك أقصى درجات الشعور بمكانة وقيمة الأموال العامة، وأنه لم يعرف سوى خدمة القضية التي كان يعلم أنها عادلة، ضارباً بذلك أسمى مثال للتفاني والشجاعة الخارقة، وكل ميزاته كانت مدونة في القانون العام، لكي يتخذ منه مثالاً يحتذى، وعلى هذا المنوال فقد كان يذكر خصوصاً أنه لم يسحب أبداً من الأموال للإنفاق على شؤونه الخاصة، وأنه كان دائماً يرجع إلى الخزينة العامة كل الهدايا التي كانت تقدم له ؛ لأنه كان خادماً وفياً للدولة وليس لمصالحه الخاصة[1].

المطلب الثالث: مقاومة الأمير عبد القادر

1/ استراتيجية الأمير والدفاع عن الأقاليم

اهتم الأمير عبد القادر بإنشاء خط دفاعي كبير بين التل والصحراء، وقد أقامه في وسط العديد من الصعوبات ؛ لأنه كان مقيداً بالمدة الزمنية، ولم تكن هذه المناطق المحصنة مخصصة للصمود أكبر وقت ممكن أمام الهجومات الفرنسية، بل كانت بالخصوص لأجل تمتين سلطته بالقبائل المنضمة إليه.لقد شيد من الغرب إلى الشرق: سبدو لحماية تلمسان، تاكدمت للدفاع عن معسكر، تازة للتحكم في منطقة الجزائر العاصمة، وبوغار على الحد بين التنقل والصحراء، وبسكرة في جنوب قسنطينة، غير أنه قد ركز أكبر قدر من جهوده على تاكدمت ؛ لأنها كانت قريبة من تيهرت العاصمة القديمة للرستميين، وكان يعلق على تاكدمت اماالاً عريضة،

[1] الصلابي علي محمد، الامير عبد القادر محيي الدين الجزائري قائد رباني ومجاهد إسلامي، مرجع سابق، ص 488.

كشف عنها في حديث أجراه مع سجين فرنسي: مازال عندي الأمل في أن أعيد تاكدمت إلى مجدها القديم، هنا سأجمع القبائل، فنحن في مأمن من هجومات الفرنسيين، ومن هذه الصخرة المرتفعة سأنقض كما ينقض الصقر من على عشه فوق المسيحيين فأطردهم من الجزائر ومن عنابة ووهران.وكان الأمير قد عمل على أن يجعل من تاكدمت مركزاً للثقافة وأن يبني لها جامعة، غير أنه لم يسعفه الوقت لذلك، كانت تاكدمت تبعد عن حاميات العدو الذي لا يستطيع بلوغها إلا بعد قطع التل والهضاب العليا، وهذا الموقع كان يعطي الأمير ميزة لمعرفة تحركات العدو في وقتها وتدارك خطر أي هجوم.زيادة على ذلك فإن موقعها بين التل والصحراء جعل من السهل على البدو أن يقصدوها لشراء بضائع التل مقابل ماشيتهم، وهو ما كان يسمح للأمير بمراقبتهم عن قرب؛ لأنهم يكونون مورداً مهماً للزكاة، وقوة لا يستهان بها في الحرب[1]. وبفضل عزلتها فقد كانت أحسن من أية مدينة أخرى لتشكيل المركز الضروري للصناعة الحربية، وهنا كذلك أنشأ بيت العملة الوطنية.

2/ الاستراتيجية العسكرية

أول ما بنى الأمير عبد القادر الجزائري إستراتجيته العسكرية، كان على تكوينه العسكري، بحيث شارك مع والده الشيخ محي الدين في جل المعارك التي خاضها ضد الاحتلال الفرنسي[2]، أما عن الاستراتيجية العسكرية للأمير فهي تتلخص في كلمة واحدة وهي الحركية، فقد تميز في قدرته على استعمالها عملياً ؛ حتى خصومه وفي مقدمتهم «بيجو» يشهد بعبقريته العسكرية، فقد كانت خططه العسكرية تتغير حسب الظروف، فكانت غالباً على شكل اشتباكات بكميات صغيرة، وفي بعض المرات كانت على صورة حرب مواقع، غير أن طبيعة النضال الذي كان يقوده

[1] الصلابي علي محمد: كفاح الشعب الجزائري، مرجع سابق، ص 378.
[2] الاستراتيجية العسكرية للمقاومات الامير عبد القادر والحاج احمد باي انموذجا، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بوضرساية بوعزة، ع 17، 2011، جامعة الجزائر 2، ص 201.

الأمير فرضت عليه حرب العصابات ؛ التي كان يجيدها إجادة خارقة للعادة، فكانت تفاجأ وتربك الخصم، وهي التي جعلت الأمير أشهر وألمع رواد هذا النوع من الحرب. وإذا كانت حرب العصابات تأتي دائماً بثمارها المتمثلة في تكبيد العدو خسائر ثقيلة، فإن رد فعل هذا الأخير ضد القبيلة المشتبهة في تبليغها المعلومات يكون وحشياً ولا يعرف الرحمة. ولهذا فإن الأمير لم يكن يستعملها إلا بأقصى قدر من الحيطة، وأكبر الحظوظ في النجاح، وكانت معرفة الأمير الجيدة للميدان تمنحه هو وجيشه تفوقاً ملحوظاً على القوات الفرنسية، فكانت تسمح له بفضل حركيته ومصالح استخباراته باستدراج العدو إلى الأماكن الأكثر ملاءمة، وقد كان الجيش الفرنسي على العكس من ذلك يبحث عن حرب المواقع، ويرغم الأمير على الاشتباك في المعارك، فكان في هذه الحالة يصاب بخسائر إلا أنه كان أيضاً يكبد العدو مثلها، وكان دائماً يتمكن من التحرز في ظروف حسنة. وبالمقابل فإنه كان يحدث للأمير أحياناً عندما يرى الظروف مواتية أن يتسبب في نشوب معارك كانت تنتهي بخسائر كبيرة في صفوف العدو[1]، لاحظ خريطة مقاومة الأمير عبد القادر الملحق .01

المطلب الرابع: بطولة الأمير ودبلوماسيته واعتراف العدو بدولته

ولبطولة الأمير اضطرت فرنسا إلى عقد اتفاقية هدنة معه وهي اتفاقية "دي ميشيل" في عام 1834، وبهذه الاتفاقية اعترفت فرنسا بدولة الأمير عبد القادر، وبذلك بدأ الأمير يتجه إلى أحوال البلاد ينظم شؤونها ويعمرها ويطورها، وقد نجح الأمير في تأمين بلاده إلى الدرجة التي عبر عنها مؤرخ فرنسي بقوله: «يستطيع الطفل أن يطوف ملكه منفردًا، على رأسه تاج من ذهب، دون أن يصيبه أذى!!».

[1] الصلابي علي محمد، الامير عبد القادر محيي الدين الجزائري قائد رباني، مرجع سابق، ص 488.

وكان الأمير قد انشا عاصمة متنقلة كاي عاصمة اوربية متطورة انداك سميت الزمالة و كان قد أسّس قبلها عاصمة وذلك بعد غزو الجيش الفرنسي لمدينة معسكر في الحملة التي قادها 'كلوزيل'، وضع الأمير خطة تقضي بالانسحاب إلى أطراف الصحراء لإقامة آخر خطوطه الدفاعية وهناك شيد العاصمة الصحراوية ،تكدمت. وقد بدأ العمل فيها بإقامة ثلاث حصون عسكرية، ثم أعقبها بالمباني والمرافق المدنية والمساجد الخ، وهناك وضع أموال الدولة التي أصبحت الآن في مأمن من غوائل الغزاة ومفاجئاتهم. وقد جلب إليها الأمير سكانا من مختلف المناطق من الكلغوليين وسكان آرزيو ومستغانم ومسرغين والمدية[1].

وقبل أن يمر عام على الاتفاقية نقض القائد الفرنسي الهدنة، وناصره في هذه المرة بعض القبائل في مواجهة الأمير عبد القادر، ونادى الأمير في قومه بالجهاد ونظم الجميع صفوف القتال، وكانت المعارك الأولى رسالة قوية لفرنسا وخاصة موقعة "المقطع" حيث نزلت بالقوات الفرنسية هزائم قضت على قوتها الضاربة تحت قيادة "تريزيل" الحاكم الفرنسي. ولكن فرنسا أرادت الانتقام فأرسلت قوات جديدة وقيادة جديدة، واستطاعت القوات الفرنسية دخول عاصمة الأمير وهي مدينة "معسكر" وأحرقتها، ولولا مطر غزير أرسله الله في هذا اليوم ما بقى فيها حجر على حجر، ولكن الأمير استطاع تحقيق مجموعة من الانتصارات دفعت فرنسا لتغيير القيادة من جديد ليأتي القائد الفرنسي الماكر الجنرال "بيجو]"؛ ولكن الأمير نجح في إحراز نصر على القائد الجديد في منطقة "وادي تافنة" أجبرت القائد الفرنسي على عقد معاهدة هدنة جديدة عُرفت باسم "معاهدة تافنة" في عام 1837 م. وعاد الأمير لإصلاح حال بلاده وترميم ما أحدثته المعارك بالحصون والقلاع وتنظيم شؤون البلاد، وفي نفس الوقت كان القائد الفرنسي "بيجو" يستعد بجيوش جديدة، ويكرر الفرنسيون نقض

[1] محمد باشا ابن الأمير عبد القادر/الجزائري، تحفة الزائر، المرجع السابق، ص 11-12.

المعاهدة في عام 1839 م، وبدأ القائد الفرنسي يلجأ إلى الوحشية في هجومه على المدنيين العزل فقتل النساء والأطفال والشيوخ، وحرق القرى والمدن التي تساند الأمير، واستطاع القائد الفرنسي أن يحقق عدة انتصارات على الأمير عبد القادر، ويضطر الأمير إلى اللجوء إلى بلاد المغرب الأقصى، ويهدد الفرنسيون السلطان المغربي، ولم يستجب السلطان لتهديدهم في أول الأمر، وساند الأمير في حركته من أجل استرداد وطنه، ولكن الفرنسيين يضربون طنجة وبوغادور بالقنابل من البحر، وتحت وطأة الهجوم الفرنسي يضطر السلطان إلى توقيع معاهدة لالة مغنية وطرد الأمير من المغرب الأقصى[1].

المطلب الخامس: هزيمة الأمير عبد القادر ووقوعه في الأسر ووفاته

بعد معاهدة التافنة سرعان ما خرق الفرنسيين المعاهدة من جديد، فاشتبك معهم عبد القادر ورجاله أواخر عام 1839، فدفعت فرنسا بالقائد الفرنسي (بيجو) لتولي الأمور في الجزائر، فعمل على السيطرة على الوضع بإتباع سياسة الأرض المحروقة، فدمر المدن وأحرق المحاصيل وأهلك الدواب، إلا أن الأمير ورفاقه استطاعوا الصمود أمام تلك الحملة الشعواء، مُحققين عدة انتصارات، مستعينين في ذلك بالمساعدات والإمدادات المغربية لهم، لذا عملت فرنسا على تحييد المغرب وإخراجه من حلبة الصراع، فأجبرت المولى عبد الرحمن سلطان المغرب، على توقيع اتفاقية تعهد فيها بعدم مساعدة الجزائريين، والقبض على الأمير عبد القادر وتسليمه للسلطات الفرنسية، حال التجائه للأراضي المغربية. كان لتحييد المغرب ووقف مساعداته للمجاهدين الجزائريين دور كبير في إضعاف قوات الأمير عبد القادر، الأمر الذي حد من حركة قواته، ورجح كفة القوات الفرنسية، فلما نفد ما لدى الأمير من إمكانيات لم يبقى أمامه سوى الاستسلام حقناً لدماء من تبقى من المجاهدين

[1] عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح ابو حسن شكر، الإحياء بعد الإنساء، ج 2، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2011، ص 214-215.

والأهالي، وتجنيباً لهم من بطش الفرنسيين، وفي ديسمبر 1847 م اقتيد عبد القادر إلى أحد السجون بفرنسا،وفي بداية الخمسينات أفرج عنه شريطة ألا يعود إلى الجزائر، فسافر إلى تركيا ومنها إلى دمشق عام 1855، ونظم قصيدة عندما وصل إلى مدينة بورصة التركية أنظر الملحق 02 ، وعندما وصل الأمير وعائلته وأعوانه إلى دمشق، أسس ما عرف برباط المغاربة في حي السويقة، وهو حي ما زال موجوداً إلى اليوم، وسرعان ما أصبح ذا مكانة بين علماء ووجهاء الشام، وقام بالتدريس في المدرسة الأشرفية، ثم الجامع الأموي، الذي كان أكبر مدرسة دينية في دمشق آنذاك، سافر الأمير للحج ثم عاد ليتفرغ للعبادة والعلم والأعمال الخيرية، وفي عام 1860 تتحرك شرارة الفتنة بين المسلمين والمسيحيين في منطقة الشام، ويكون للأمير دور فعال في حماية أكثر من 15 ألف من المسيحيين، إذ استضافهم في منازله[1].

وقد أفرد المؤرخ الإنجليزي " تشرشل " الفصل السادس عشر من كتابه عن حياة الأمير عبد القادر لذكر حسن معاملة الأمير للأسرى الفرنسيين، وأرسل رسالة شكر لشارل هنري تشرشل عن كتابه "حياة عبد القادر سلطان العرب في الجزائر"[2]، الملحق 02.

ووافاه الأجل بدمشق في منتصف ليلة 19 رجب1300هـ/ 23 مايو 1883 م عن عمر يناهز 76 عاماً، وقد دفن بجوار الشيخ ابن عربي بالصالحية بدمشق لوصية تركها. وبعد استقلال الجزائر نقل جثمانه إلى الجزائر عام 1965 م ودفن في مقبرة العالية في مربع الشهداء الذي لا يدفن فيه إلا رؤساء البلاد[3].

وللتعريف بالأمير عبد القادر أكثر فقد وضعنا صورته الملحق 03.

[1] محمد باشا ابن الأمير عبد القادر/الجزائري، ص 13-14.
[2] بورنان سعيد، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر، 1962-1830، دار الأمل، تيزي وزو-الجزائر، د ط، 2002، ص 73.
[3] نفسه، ص 14.

من خلال ما سبق في هذا الفصل توصلنا إلى مجموعة من الأفكار والإستنتاجات وهي أنّ شخصية الأمير عبد القادر هي شخصية فذة متكاملة الخلق.

- نسبه الشريف فهو سليل الأسرة النبوية الشريفة حيث يصل نسبه إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
- أنّه تربى في عائلة محافظة؛ حافظت على طابعها الإسلامي وحفظ كتاب الله.
- جمعت بين الفروسية والسياسة –وبين– العلم والدين والدبلوماسية. شخصية ورثت صفات الحلم والعلم من نسب النبوة والسلالة الشريفة.
- اكتسبت قوة الشخصية من عائلة لها صيت ذائع تتصف بالحكمة والمكانة والجاه.

الفصل الثاني:

نتائج مقاومة الأمير عبد القادر ما بين (1853-1860) داخل الجزائر وخارجها

- حياة الأمير عبد القادر في الفترة الممتدة من 1853 م و1860 م
- أهم الأحداث والإنجازات في حياة الأمير عبد القادر في الفترة الممتدة من 1853 و1860.
- نتائج مقاومة الأمير عبد القادر ما بين (1853-1860) .

في ديسمبر 1847 انتهى فصل هام من حياة الأمير عبد القادر اتسم بالمقاومة المسلحة للغزو الفرنسي، فكانت الاتفاقية الثنائية بين الأمير من جهة والجنرال لامورسيير والدوق دومال من جهة ثانية هو السماح للأمير بالتوجه نحو عكا أو الاسكندرية، لكن السلطات الفرنسية نقضت الاتفاق، فمكث الأمير في المنفى القسري بأمبواز إلى غاية أن صدر العفو عنه وسمح له بالتوجه نحو المشرق، فكانت الدولة العثمانية وجهته والتي اختارت له مدينة بروسة مقرا للإقامة حيث قضى بها فترة من أوائل 1853 إلى أواخر سنة 1856، ثم يواصل رحلته نحو دمشق ويستقر نهائيا بها 1860.[1]

[1] لمزيد من المعلومات أنظر: زبيري بومدين، إقامة الأمير عبد القادر في مدينة بورصة (3581-3581م) بين الكتابات الغربية والوثائق العثمانية، مجلة المعيار، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، مجلد 24، ع 51، 2020، ص 618.

المبحث الأول: حياة الأمير عبد القادر خلال الفترة 1853م-1860م وأهم أحداثها

المطلب الأول/ حياة الأمير عبد القادر في الفترة الممتدة من 1853 م و1860 م

1/ هجرة الأمير إلى بروسة وإقامته فيها

أبحر عبد القادر إلى بروسة وكانت الحكومة التركية قد أمرت باشا تلك المدينة أن يضع عربة خاصة تحت تصرف عبد القادر منذ ساعة نزوله، فقال ذلك التركي: "ماذا! عربي يركب العربة! من الذي سمع بمثل هذا؟ بالتأكيد أن هناك الكثير من الابل يمكن ركوبها فلماذا لا يؤجر هذا الرجل جملا؟ أليس الجمل كافيا له؟" وتفادى التركي الإهانة التي تلحقه لو منح عربيا عربة، معتمدا على حقيقة بسيطة وهي أنه لا يمكن عبور الطريق من مكان النزول إلى بروسة في أية عربة متحركة مهما كانت، ورغم أنّ الباب العالي لم يكن سوى على بعد عشرين ميلا فقد كان جاهلا تماما لهذه الحقيقة.

ومن حسن حظ عبد القادر أنه بالرغم من وجوده بين أيدي الترك فإنه لم يكن مضطرا أن يكون تابعا لهم أو متوقعا عليهم، فأريحية لويس نابليون قد وفرت له جميع حاجاته، ذلك أن الامبراطور قد خصص له مرتبا مدى الحياة، وهو أربعة آلاف جنيه إسترليني سنويا، وعند التأمل في عادات عبد القادر يصبح هذا الدخل أكثر مما يحتاجه ب يصبح بذخا، وكان يمكنه أن يعيش عيشة أمير بهذه الثروة وينغمس في التباهي، ولكنه كان خاضعا لمبادئ أخرى[1].

[1] ملتقى أهل الحديث، أرشيف ملتقى أهل الحديث، ج 97، المكتبة الشاملة، د ط، 2010، ص 219.

فعبد القادر الذي كان دائمًا معارضًا لإرضاء النفس قد نظر إلى هذا المرتّب الكبير كأمانة، لذلك قرر أن يأخذ منه ما هو ضروري لمصاريفه الخاصة، وأن يصرف الباقي على الآخرين. فقد كرّس دخْلَه على تلبية حاجات كثير من أولئك الذين رفضوا بنبلٍ أن ينفصلوا عن مصيره، بل إنّه كان قادرًا على أن يغمر بكرمه جهات أخرى. ولم يكد يحتفظ لنفسه ولعائلته بسوى النصف من ذلك المبلغ أما الباقي فقد وزّعه في شكل رواتب على قوّاده وأتباعه الذين كانوا في حاجة ماسة، وفي شكل صدقات على الفقراء، وهبات إلى المساجد، وغير ذلك من الأغراض الخيرية، كما أنه كان يصرف من دخله على أخويه وعائلتيهما[1].

لقد كان عبد القادر معارضا لكل المصاريف التي تصرف فيما لا فائدة فيه، حتى ان المبلغ الذي اعتاد المسلمون أن يخصصوه للاحتفالات والمهرجانات في أهم الأعياد الدينية، وجهه هو إلى أغراض خيرية، لقد كان عبد القادر معارضًا لكل المصاريف التي تصرف فيما لا فائدة فيه، حتى إنَّ المبلغ الذي اعتاد المسلمون أن يخصصوه للاحتفالات والمهرجانات في أهم الأعياد الدينية، وجَّهه هو إلى أغراض خيرية. ففي مناسبة ختان أحد أبنائه استغرب أهل (بروسة) أنه بدلاً من المسيرة الغالية العادية، مع كل ما تستلزمه من أُبَّهة وبهرجة الفرسان والأعلام والموسيقا، كان هناك جمعٌ من الفقراء مجتمعين أمام منزله يتلقون من يديه هدايا الخبز والملابس والنقود. إنّ هذا كان في عين عبد القادر أفضلَ احتفال بهذه الشعيرة المقدسة[2].

كانت البناية التي خصصتها الحكومة التركية لإقامة عبد القادر عبارة عن خان قديم مهدم، وكثير من أجزائها كان بلا سقوف، وقد حاول جهده بصعوبة أن يجعلها صالحة للسكن، وكانت بشاعة وهمجية هذا الأثر القديم تثير الرعب، ولكنه اشترى

[1] المرجع سابق، ص 219.
[2] نفسه، ص 188.

مزرعة صغيرة بجوارها حيث كان يهرب بنفسه أحيانا ليمتع نفسه بمنظر الشمس وليتنفس هواء نقيا.

وكانت أيامه كالعادة تمر في تربية أبنائه، وفي القراءة في الجامع، وفي الدراسة الخاصة وفي العبادة، ومع ذلك فقد كان يشعر أنه في أرض الغربة فقليل هم الذين كانوا يفهمون لغته، ولم يكن بينه وبين الترك عاطفة ممكنة، ولا يمكن أن تكون أبدا، فعلماؤه كانوا يحسدونه ويكرهونه لعلمه الغزير، وكانت طبقة الأفندية منهم، في فخرها المتشامخ، قلما تنازل لتلاحظه، وكانت طبقة الموظفين العموميين، التي كانت تستعيد نفسها تدريجيا من خوفها من نفوذه الواسع الانتشار، تبتسم في داخلها راحة ورضى لا يخلوان من سخرية وهي تهنئ بعضها على اكتشافها أنّ البطل العربي الكبير لم يكون في الواقع سوى ((درويش)).

2/ زلزال بروسة وهجرته إلى باريس

ومر وقته هكذا حوالي ثلاث سنوات، وكان سريا يتشوق إلى تغيير مكان منفاه، ولكنه يستحي من طلب ذلك، وأخيرا حدث سنة 1855 الزلزال الذي أوشك على خراب جميع بروسة والذي أعطاه الفرصة للمفاتحة في الموضوع، فأسرع لاغتنام الفرصة وقد حصل إلى إذن للذهاب إلى فرنسا، فرأى من جديد الامبراطور الذي رضى بإنجاز جميع رغباته، وهناك تم الاتفاق على أن إقامته في المستقبل ستكون في دمشق[1].

وبينما كان عبد القادر في باريس وصلت الأخبار بسقوط سيبستبول وقد طلب منه أن يحظر احتفال صلاة الشكر في كنيسة نوتردام، وأخبر أن الامبراطور سيكون سعيدا بحضوره في هذه المناسبة.

[1] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1974، ص 275-276.

3/ عودته إلى بروسة وهجرته إلى لبنان ثم إلى دمشق

وبعد أن عاد إلى بروسة حيث بقي بضعة أسابيع لترتيب شؤونه وحل مشاكله، ركب سفينة تجارية فرنسية، مع عائلته وأتباعه الذين بغوا جميعا 100 شخص، ووصل بيروت في 24 من نوفمبر 1856، وبعد الإقامة مدة قصيرة واصل رحلته إلى دمشق.

وبينما هو صاعد جبل لبنان سمع وهو مندهش، صوت الرصاص كما لو كانت معركة حامية تجري قريبا، وشاهد أعالي الجبل ومنحدراته مغطاة بعدد كبير من الرجال الذين يقبضون على حزمات البنادق، ثم رأى كوكبة من الفرسان متراصة في زي فخم متقدمة لمقابلته، لقد تجمع الدروز للترحيب به، وعندما اقترب رؤساؤهم منه ترجلوا، فرد عليهم التحية، وقد انحنوا أمامه حسب التقاليد الشرقية وقبلوا يده، ثم سألوه أن يشرفهم بالاستراحة بينهم ولو ليلة واحدة، فقبل دعوتهم، ووجد مرة أخرى وطنا شرقيا كريما، وتفتح قلبه للمناسبة، فهو مرة أخرى بين العرب.

وقد سأله هؤلاء المحاربون الجبليون طويلا وعن كثب عن حملاته ضد الفرنسيين، وقالوا له: "إذا كانت شهرتك قد رفعت معنوياتنا منذ وقت طويل وأثارت اعجابنا، واذا كانت صدورنا قد أثلجت بالسماع عنك منذ وقت، فنحن سعداء أن نراك!"، وعند مغادرته جبل لبنان رافقه الدروز إلى حدود منطقتهم، وبعد أن شكرهم على أدبهم نحوه واحترامهم له، رحل عبد القادر من عندهم قائلا: "هدانا الله أن نظل متحدين" رد عليه الدروز قائلين: "حقق الله ذلك! وجعلنا نجتمع مرة أخرى قريبا"[1].

وكان عبد القادر ينتظر احتفاء آخر أهم وأعظم في دمشق، فكل السكان المسلمين رجالا ونساء واطفالا خرجوا لاستقباله. وعلى مسافة اطول من ميل خارج ابواب

[1] المرجع السابق، ص 277.

المدينة اصطف الناس على حافتي الطريق، وكانوا من مختلف الطبقات والرتب، مرتدين أفخر الثياب، وقد جاؤوا ليشبعوا اعينهم بالتفرس في بطل الاسلام الشهير. ومر عبد القادر كأنه فاتح وسط الزحام مسبوقا بفرقة عسكرية تركية وجوقة للموسيقى العسكرية وكان يرد بسرور على عبارات التحايا والترحيب التي لا تتوقف والتي كان الناس يبدونها اليه. انه لم يدخل دمشق عربي على هذا النحو منذ صلاح الدين الأيوبي.

كان السلطان قد أمر بوضع سلطان تحت تصرف عبد القادر، ومن حسن حضه أنه وجد جميع الحانات مسكونة، فجعل إقامته في منزل أعد له مؤقتا، إلى أن يكون في استطاعته أن يختار ويشتري لنفسه منزلا، ولم تهتم به السلطات التركية بعد ذلك، لقد آن الأوان للترك أن يتحملوه، فهم لا يستطيعون أن يخفضوا من قيمته ولا من مكانته لأن يدا أقوى من يدهم امتدت إليه لتحميه، وهم لا يستطيعون أن يسموا نفوذه لأنه نفوذ بلغ الأوج الذي يتحدى به حقدهم، فاكتفوا بالنظر إليه على أنه نشاز مؤلم لا مناص منه واستكانوا.

وسرعان ما تضاعفت لدية الزيارات والتحيات على اختلاف أنواعها، فابن سالم، خليفته القديم الوفي، ومئات الجزائريين الذين كانوا قد حصلوا على رخصة الاقامة في دمشق والذين ضخموا عدد أتباعه عند دخوله المدينة، هم الآن يزدحمون عليه ليلا ونهارا، لا يشبعون أبدا من النظر إلى سلطانهم المفدي الذي كان قد غاب عليهم أمدا طويلا، وقد قام الافندية العرب الكبار بتقديم كل آيات الاحترام له[1].

ولكن عبد القادر كان مركز اهتمام العلماء والمثقفين أكثر من غيرهم، فهو بألقابه الثلاثة: كونه شريفا من نسل النبي وعالما وزعيما للجهاد، كان جديرا بتبجيلهم

[1] سليم سوسن، الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د ط، 1985، ص 297.

العميق، وكانوا يشعرون أنهم مرتبطون إليه ليس فقط بمشاعر العاطفة القومية ولكن أيضا بالواجب الديني، وان تجربتهم السريعة معه في علمه الغزير قد جعلتهم يشوقون إلى الاستفادة من معارفه، لذلك ترجوه ان يصبح معلما لهم معلما لهم. وتكونت حلقة درس دينى مؤلفة من نيف وستين طالبا. وكانت تجتمع يوميا في الجامع الكبير وكان عبد القادر يرأسها ولا يتخلف عن حضورها. ومن الطبيعي ان كان القرآن والحديث هما قاعدة المناقشة، لكن خلافا للمعلمين العاديين الذين لا تمتد قواهم العقلية إلى أكثر من ملاحظات وتعاليق عتيقة بالية عن الكتب المقدسة، فإن عبد القادر تد آثار استغراب اتباعه وأثلج صدورهم باختياره للنصوص من اعمال افلاطون وارسطو، وأحيانا حتى من مؤلفين في درجة أدني من هذين سمعة، وكان يختار هذه النصوص من الخاصة التي كان قد بدأ في إعادة جمعها بعناية خلال إقامته في بروسه[1].

ان الضوء الذي بعث اشعته على المثقفين من مسلمي دمشق كان بالطبع مصحوبا بظلة من الحسد والنميمة تزيده الخيلاء والجريمة والشهوات الغامضة امتدادا. هكذا كانت على العموم المكانة الاجتماعية لعبد القادر في دمشق، وعندما وقعت حوادث غير منتظرة اقلقت بعض الوقت طمأنينة مجرى حياته، ذلك أن معاهدة باريس الموقعة سنة 1856 قد ملأت الترك بعواطف مختلطة من الفخر وعدم الثقة: من الفخر لان المعاهدة قد انقذتهم من نهاية محققة وجددت لهم الامل في البقاء السياسي، ومن عدم الثقة لان عمل الخلاص كان قد توج بمرسوم الموت. ان مثل هذه النهاية كانت تتوقف حقا على تحقيق نظرية، ولكن هذه النظرية كانت بالنسبة

[1] ملتقيات الفكر الإسلامي، محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، ج 1، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، د ط، 2005، ص 860.

إليهم على جانب كبير من الاهمية المشؤومة فالدول المسيحية، بانتزاعها من الترك قانون (خطى همايون) سنة 1856، قد جعلتهم يضعون السكين على رقبتهم "[1].

وفي شهر مايو 1860 اندلعت الحرب الاهلية بين الدروز والمسيحيين وهي الحرب التي اوقد نارها وجد في ايقادها الترك، وفي مدة شهر ونصف أصبح لبنان مسرحا واسعا للمذابح والحرائق كما عرضنا ذلك. وفي لحظه سوداء سمح النصارى لأنفسهم، رغم تفهمهم ان يخدعوا بالدعاوى الرسمية للباشوات. والعقداء العثمانيين الذين كانوا يشهدون الله على انهم هناك ليعملوا كوسطاء، فتوجه النصارى بالمئات الى مختلف المراكز العسكرية العثمانية في الجبل وكانوا إلى مختلف المراكز العسكرية التركية المنبثة في الجبل، وكانوا يتوقعون بفارغ الصبر إشارة السلام، وهناك طلب منهم بلطف ان يسلموا أسلحتهم، علامة على الثقة، ثم حشروا في ساحات مفتوحة أو غرف صغيرة، حسب طبيعة المكان الذين هم فيه، واعطوا الضمانات بانهم في أمن حقيقي وبعد ذلك بقليل وقع عليهم الدروز والجنود الحكوميين وذبحوهم جميعا، لقد كانوا قد (زجروا)، ثم جاء دور (زجر) مسحيي دمشق، وأرسل عبد القادر الذي كان يجهل تماما المؤامرة التركية–الدرزية الكبرى، الرُسل إلى بعض أصدقائه من مشائخ الدروز عند بداية الحرب الاهلية في لبنان داعيا لهم أن يكونوا رحماء متعدلين ، ثم حانت المناسبة له ليرى و يسمع عن الحوادث القريبة منه ، فقد كانت الاشاعات تنتشر كل لحظة على أن مسلمي باشليك دمشق يعتزمون القيام ضد المسيحيين[2].

[1] سليم سوسن، الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية، مرجع سابق، ص 279.
[2] نفسه، ص 300.

4/ مراسلات الأمير عبد القادر للأعيان و الشيوخ

وكان عبد القادر في أول الامر لا يصدق، و لكن الجزائريين كانوا يأتون إليه يوميا و يكررون له حديث المدينة المخيف، و كثير منهم الذين تأثروا بما كان يجري طلب منهم أن ينضموا إلى المؤامرة، فذهب إلى العلماء و ترجاهم أن يستخدموا نفوذهم لدى الأهالي لتبريد المشاعر و تفادي مثل هذه النكبة المهولة، و كتب رسائل مستعجلة في نفس المسعى إلى علماء حمص و حماه، و عندما وصلته بعض الاخبار من أن بعض الفرق الدرزية المتجولة كانت تتقدم بخرابها نحو دمشق[1].

5/ لجوء الأمير عبد القادر إلى الحاكم

ثم لجأ عبد القادر إلى الحاكم احمد باشا و عبّر له عن مخاوفه و اكد له الباشا أن ليس هناك ما يدعو للخوف، و أن كل الاخبار لم تكن سوى محض إشاعات و كرّر الذهاب ثانية و ثالثة إلى الحاكم و جدّد له مخاوفه ، و لكن بدون جدوى ، و أخيرا سمح الباشا بتوزيع بعض الأسلحة على أتباع عبد القادر ، و لكن دون إعطاء أي رخصة لاستعمالها مهما كانت الظروف .

و في ضحى التاسع من يوليو هرع جزائريو عبد القادر إليه و أنفاسهم تتقطع و أخبروه بأن المدينة قد قامت و دون أن يضيع لحظة واحدة خرج في اتجاه المدينة و أمر قومه باتباعه و بعد مسافة التقى بمجموعة من الأهالي المسلمين الساخطين متجهين نحو الحي المسيحي ، فاصطف هو و رجاله و سط الشارع ، و توقفت الغوغاء دونهم ، و علا ذلك هدوء ، و خطب عبد القادر في المتظاهرين و عاتبهم و سعى إلى اقناعهم ببشاعة الجريمة التي هم مقدمون على ارتكابها ، و ترجاهم أن

[1] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 282.

يتعظوا و يعودوا أدراجهم و لكنهم صرخوا قائلين :" أنت الذي كنت أعظم ذباح للمسيحيين تأتي لتمنعنا من ذبحهم هنا في مدينتنا ؟".

فصرخ فيهم مجيبا لهم: "إذا كنت قد ذبحت المسيحيين فإن ذلك كان طبقا لتعاليم شريعتنا، وهم المسيحيون الذين أعلنوا الحرب والذين كانوا مدججين بالسلاح ضد ديننا"[1].

فأجابه المتظاهرون: (ابتعد)، (ابتعد)، و اندفعوا إلى الأمام ، و خلال ثلاث ساعات كان الحيُّ المسيحي عبارة عن ورقة تشتعل في مهب الريح ، و كان الحر مشحونا بأنين المعذبين و صياح المصابين يمتد فوق المدينة كلفح الجحيم .

و كان الباشا قبل ذلك بعدة أيام قد ادّعى بأنه سيحمي المسيحيين ، بوضع فرقة من الجنود الاتراك في حيهم ، و قد أرسل الآن الأوامر لجنوده بالانسحاب ، فتخلوا عن الأسلحة ، و نهبوا ، فهبّ عبد القادر للنجدة ، لقد التف حوله الآن الفٌ من الجزائريين فكان يحرس طوال الشوارع الملتهبة ، و كان رجاله يذهبون من منزل إلى منزل منادين " أيها المسيحيون ، تعالوا ، لا تخشوا منا ، إننا رجال عبد القادر ، و أننا هنا لإنقاذكم ، تعالوا ، تعالوا ".

و لم يستجب أحد في البداية ، إن هؤلاء الضحايا المنكوبين كانوا يخشون خيانة جديدة ، و لكنهم شيئا فشيئا و بعد ضمانات مؤكدة و جادة استعادوا ثقتهم فخرج الرجال و النساء و الأطفال يرتجفون من مخابئهم ، لقد كانوا مختبئين في الآبار و أحواض الغسيل و مجاري المياه ، و بمجرد ما امكن جمعهم معا أسرع بهم جنود عبد القادر إلى منزله ، و ساروا بهم في شكل تربيعات مستطيلة ، أعدّها الجزائريون لحمايتهم في الطريق من الإهانة و الهجوم .

[1] المرجع السابق، ص 283.

و عاد عبد القادر إلى منزله بعد أن أوشك عدة مرات على الاختناق ، فوجده قد غص بهم فطلب من جيرانه الأقربين أن يُخلوا منازلهم لتوفير المأوى إلى هؤلاء الفارين المنكوبين ، و لكن موجة الفارين كانت ما تزال تتدفق حتى ضاق المكان بهم ، و اقترح على المسيحيين كآخر حل أن يرسل بهم إلى القلعة التركية ، و لكن صرخة مدوية من الجميع علت عند سماع هذا الاقتراح ، و جثت تلك المخلوقات المسكينة و صاحت في نحيب يمزق الاكباد و إشارات عصبية قائلة : "نتوسل إليك بالله عبد القادر أن لا ترسلنا إلى الأتراك ، نتوسك إليك بأمِّك ، بزوجتك ، بأطفالك ، أنقذنا يا عبد القادر من الترك "[1].

وحاول عبد القادر أن يهدئ روع المتوسلين و يكفكف دموعهم، فتعهد لهم بالأمن و عرض أن يذهب معهم شخصيا إلى القلعة و قال إنه مادام حيا لن تمس شعرة من رؤوسهم، وبعد ذلك رضي المسيحيون بالذهاب، بقلوب كئيبة و هواجس حزينة و قاد عبد القادر شخصيا هذا الموكب الحزين.

و كان الجزائريون يمشون على جانبي المواكب و من خلفه، و كان يسير بسرعة و كان يسود المدينة الكبيرة جو غير عادي ، و كانت الأسواق و كلها مهجورة و قد تحولت إلى ميدان للحرس المتجول ، و كانت تتصادى بأصوات جنائزية حزينة ، ووصل الموكب قبل الغروب بقليل إلى القلعة التي كانت تبعد بحوالي ميل ، و أدى عبد القادر الأمانة و نظر الترك إليه بشزر .

و استمر الجزائريون عدة أيام في حراسة المسيحيين المشردين، في مجموعات من عشرين و خمسين و مائة إلى نفس المكان، و بينما كان المسيحيون في طريقهم

[1] المرجع السابق، ص 283-284.

كانوا جميعا يقولون : " لا تتركونا تحت رحمة الترك ، عودوا إلينا ابقوا معنا ، إن الترك سيقتلوننا "[1].

و الواقع أن مخاوفهم كان لها ما يبررها ، وفي اليوم الثالث ، عندما اكتظت الساحة الواقعة داخل القلعة بالمسيحيين حيث بلغوا بعض الآلاف من كل الطبقات و الاعمار و الجنس ، قسمهم الأتراك ببرودة إلى مجموعتين كبيرتين رجالا و نساء إحداها عُيِنت للذبح ، و الأخرى احتجزت للاغتصاب ، و لم يكونوا ينتظرون سوى وصول الدروز الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر و يتوقعون وصولهم في أي لحظة ، لكي يتعاونوا معهم على هذا العمل الجهنمي و لكن عبد القادر في هذه المرة أيضا قد منعهم و افسد عليهم خططهم الشيطانية فقد كان سمع بقرب وصول الدروز

فركب و خرج لملاقاتهم ، فالتقى بهم في قرية الأشرفية في ضواحي المدينة و هناك تحادث مع شيوخهم ، و حاول أن يصرفهم عن غرضهم الدموي و يرجعهم إلى الصواب و العقل ، و نجح بنفوذه الشخصي و بيانه و حججه.

وقد استمر في عمله الشاق عشرة أيام، و ذات مرة اقتربت الغوغاء من منزله و صرخوا بأصوات جنونية مطالبين بتسليم المسيحيين الذين كانوا بداخله إليهم فانتضى سيفه في الحال مرفوقا بعدد من أتباعه لمواجهة الغوغاء و قال لهم: "أيها الملعونون، هل بهذه الطريقة تشرفون النبي؟ صب الله لعنته عليكم، عار عليكم، انكم ستعيشون و تندمون على فعلكم، هل تظنون أن الفرنجة ما زالوا سيحولون مساجدكم إلى كنائس ، إنني لن أسلم اليكم مسيحيا واحدا ، إنهم إخوتي ، فتقهقروا و إلا أمرت رجالي بإطلاق النار" فانسحبت الغوغاء .

[1] المرجع السابق، ص 284.

وعندما رجع إلى مركزه كان لا يتخلف عن مراقبة القلعة بالنهار والحراسة اليقظة طوال الليل وكان له زربية مفروشة عند مدخل الباب، وعلى هذا الفراش الخشن كان يسترق أحيانا استراحة قلقة، ولم ينسحب تماما أبدا، فقد كان يشعر أن حضوره الشخصي كان ضروريا لضمان الأمن للجميع، وكان تيار المشردين لا يتوقف، وكان يطلب من عبد القادر في كل لحظة أن يشكل حرسا لحماية أو يوزع المواد الغذائية على لاف المتجمعين تحت سقفه[1].

6/ الأمير ينقذ القنصل البريطاني

و كان القناصل الأوربيون قد هربوا إليه بعائلاتهم منذ اليوم الأول تاركين قنصلياتهم تحترق وراءهم، و كان القنصل البريطاني هو الوحيد الذي ظن نفسه في أمن حيث كان يعيش في حي إسلامي، و لكنه زيادة في الاحتياط أرسل إلى الباشا طالبا منه ان يرسل الجنود الاتراك لحراسة منزله و بناء على ذلك أرسل الباشا فرقة من الجنود لحمايته و بعد وصولهم بقليل جاءه أحد شواشه و أخبره بأن يحذر فقد سمع محادثة بين الجنود الأتراك و كانوا يتحدثون عن التسلل إلى القنصلية و قتل كل واحد يجدونه داخلها ، و بعد مداولات بسيطة تقرر أن عبد القادر هو الملجأ الوحيد الذي بقي ، و بناء على ذلك أرسل في الحال رسولا إلى عبد القادر متوسلا إليه في تقديم مساعدة مستعجلة ، و أمام استغراب و اندهش الجنود الأتراك ظهر فجأة سبعة عشر جزائريا و كان يبدو أنهم يحلون محل الجنود الاتراك ، و خاف الاتراك ، و أحبطت مؤامرتهم الدموية ، و ضمنت سلامة القنصل البريطاني ، عن تدخل عبد القادر كان حقا في الوقت المناسب و كان فينفس الوقت تدخلا إلاهيا و لو مرّت بعض الدقائق الأخرى لواجه القنصل ومساعدوه و عائلته القتل على يد حراسهم الأتراك الأصلي .

[1] المرجع السابق، ص 285.

ورغم ان الجمهور الاعظم من المسيحيين كانوا قد أرسلوا الى القلعة فان التأصل الاجانب وعددا كبيرا من الطبقات الغنية قد بقيت في رعاية عبد القادر وكرمه اكثر من شهر[1].

7/ الأمير عبد القادر درع المسيحيين

وبعد ذلك استطاع عبد القادر أن يستريح، فقد أنقذ خمسة عشر ألف نسمة ينتمون إلى الكنيسة الشرفية من الموت، بل مما هو أسوء من الموت بشجاعته النادرة، و نشاطه الذي لا يكل و حماسه المتحرر، فكل قنصليي الدول المسيحية الذين كانوا يقيمون في دمشق مَدينون بدون استثناء لعبد القادر بحياتهم، إنه لقدر غريب و فريد من نوعه أن عربيا قد وضع درعه الواقي فوق كرامة أوربا الجريحة، و أن حفيد النبي صلى الله عليه وسلم قد وقى و حمى قرينة (أوربا) المسيح عليه السلام[2].

المطلب الثاني: أهم الأحداث والإنجازات في حياة الأمير عبد القادر في الفترة الممتدة من 1853 و1860

عرفت هذه المرحلة من حياة الأمير عبد القادر العديد من الأحداث ومن أبرزها:

- غادر فرنسا قاصدا بروسة التي وصل إليها يوم 17 جانفي 1853 م واستقر في بيت منحته إليه السلطات العثمانية، حيث قضى بها فترة من أوائل 1853 إلى أواخر سنة 1856.
- وصوله إلى بيروت في 24 من نوفمبر، وبعد الإقامة مدة قصيرة واصل رحلته إلى دمشق: لما كثرت الزلازل في مدينة بورصة وضواحيها، وشكلت

[1] سليم سوسن، الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية، مرجع سابق، ص 319.
[2] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 286.

أذى للسكان والمهاجرين، مما اضطر السلطان إلى السماح للأمير بالإقامة في نفي إلى دمشق.

- في العام 1855 وصل الزعيم والمجاهد الكبير الأمير عبد القادر الجزائري إلى دمشق بوصفها منفاه الاختياري الأخير.
- لعب دورا مهما في إطفاء الفتنة الطائفية بسوريا 1860.
- أنقذ خمسة عشر ألف نسمة ينتمون إلى الكنيسة الشرفية من الموت، بل مما هو أسوء من الموت بشجاعته النادرة.
- إنقاذه لقنصليي الدول المسيحية الذين كانوا يقيمون في دمشق.

المبحث الثاني: نتائج مقاومة الأمير عبد القادر ما بين (1853-1860)

المطلب الأول: نتائج مقاومة الأمير عبد القادر خارج الجزائر ما بين (1853-1860)

عندما نتحدث عن نتائج مقاومة الأمير عبد القادر في هذه الفترة وفي الخارج فإنّنا نركّز على موضوع أعمال الأمير في المنفى والتي تدخل في إطار مقاومته وإنجازاته. وبالتركيز على أهم إنجازات الأمير عبد القادر وأهم نتائج مقاومته في الفترة الممددة من 1853 و1860 وهو في المنفى نجد:

- دعم أعمال الخير مثل مساعدته بنت حسن باشا وبناتها حيث كتب بشأنهن للسفير الفرنسي في 25 شباط 1853: يقول حيث يقول عنهن: "كنت في غفوة الهارب في بورصة، عندما زارتني لالّة نفيسة، ابنة آخر دايات الجزائر، والموجودة في دير راهبات المعونة. لم أصدق لا قلبي ولا عيني. كانت فقيرة ومعدمة وضائعة. عيناها لا تستقران على مكان. هل حقيقية هي ابنة حسن باشا الذي ملك ما الأرض والبحر؟ كيف تنقلب الأحوال من العز إلى شيء

أقل من الموت. تماسكت كي لا أبكي عليها وعلى أرض لبست جلد الأفعى لكي تخفي هزيمتها، عندما همت بالخروج، وضعت يدها في كفي وقلت كلاما كان شبيها بالخوف وأنا أتأمل عينيها الصافيتين. ابقي هنا أنت وبناتك. وبمجرد أن أغلقت الباب وراءها، وأخذها الخدم إلى غرفتها، عدت نحو قلمي الذي ارتجف طويلا مثل الريشة، بين يدي قبل أن يستقيم. وكتبت رسالة إلى سفير فرنسا بتركيا"[1]، " لي الشرف أن أكتب لك، للسيد المركيز دي لافاليت، بشأن نفيسة بنت حسن باشا وبناتها. لم أعرفهن إلا عندما جئن يشرحن لي وضعهن البائس. فليس لديهن ملابس، ولا وسائل للعيش، ولا يعرفن كيف يتدبرن أمورهن. وقد احتفظت بهن خشية أن يؤدي بهن سوء الحال إلى الرذيلة، وأنا أعتقد أنني بهذا العمل أتمكن من توجيههن في طرق الصلاح، عدا عن ذلك فإنني بحاجة إلى من التركية والعربية ولم أجد هنا من يجيد هاتين اللغتين ويمكنني استخدامه وبإمكاني الاعتماد على هؤلاء الفتيات لمعرفة اللغتين"[2].

- هيأ في المزرعة الإقامة لعدة عائلات ووزع عليهم قطعا من الأراضي، وكان يزرع بالطبع الشعير، لكنه غرس أيضا الكثير من الأشجار، وجرب بمساعدة عمال بولونيين زراعات أوروبية.
- في العام 1854 كانت فرنسا في حالة حرب مع روسيا، وذهب عبد القادر يبحث عن ثلاثة خيول أصيلة يهديها للإمبراطور نابليون الثالث ووصل في ذلك حتى عمق منطقة ديار بكر، وطرز قصائد شعرية على سروجها، وأحب أن يتابع شؤون حرب القرم التي تتعلق بالإسلام أيضا، وجرت فيما بعد مراسلات بينه وبين شامل البطل الشركسي.

[1] واسيني الأعرج، الأمير2 غريب الديار، دار الآداب، بيروت، د ط، 2019، د ر ص.
[2] برونو إيتيين، الأمير عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، دار الفرابي، بيروت، ط 1، 1997، ص 278.

- شغل طيلة ربيع 1855 في أخذ وعطاء معيبين مع السلطات الفرنسية بخصوص حج أمه وزوجته إلى مكة واضطر إلى السفر عدة مرات إلى القسطنطينية ولاحظ مدى المراقبة المفروضة عليه عند السفر، فالحكومة الفرنسية قد أخضعته فعلا للاختبار لمعرفة نواياه لأن الحزب الاستعماري كان يشك دائما في توجهاته الجزائرية..لكن الله أرسل آنذاك إشارة: فقد تدمر جزء من بروسة في زلزال أوت 1855 وكان الأمير الذي لجأ إلى مزرعته قلقا على عائلته، وكتب إلى السفارة بأن حان الوقت للسفر إلى مكان آخر أي إلى بلاد الشام على الأقل، إن لم يكن إلى أرض الإسلام المقدسة، ويبدوا من مراسلة لليون روش أن نابليون الثالث، خلال مداولة في التويلري، قد وافق على فكرة استقرار الأمير في دمشق[1].
- إخماد الفتنة الطائفية بين الدروز والنصارى في دمشق 1860: بعد أن غادر الأمير وعائلته الجزائر على باخرة أسمودس الفرنسية تحت حراسة مشددة، فاتّجهت به نحو مدينة طولون واقترحت فرنسا إعطاءه قصرا ضخما يعيش فيه في فرنسا لكنه رفض ذلك قائلا أنه يفضل الإقامة في ديار الإسلام على كل كنوز الأعداء و ثرواتهم. فنقلته السلطات الفرنسية إلى سجن لامبواز فنقضت بذلك تعهدها مثلما هو شأن الفرنسين دائما، ولم ينجح الأمير في مساعيه إلا بعد مجيء نابليون الثالث إلى الحكم في فرنسا عام 1851 بعد القيام بثورة ضد الملك لوي فيليب. فاستقر الأمير ببروسة بتركيا منذ عام 1853 وغادرها في عام 1855 بعد أن حطمها زلزال عنيف، فتوجه إلى إسطنبول ومنها إلى دمشق بسورية فاستقر بها واتخذها مكانا لإقامته مع عائلته.

[1] المرجع السابق، ص 281.

- قام الأمير عبد القادر بدور إنساني كبير في منفاه حيث أنقذ آلاف المسيحيين من القتل على يد مسلمين متعصبين عام 1860 و ذلك عندما أثار المستعمران الفرنسي و البريطاني فتنة بين المسلمين و المسيحيين ليتخذ ذلك ذريعة لدخول سورية ثم احتلالها، و لكن الأمير عبد القادر نجح في إطفاء نار الفتنة انطلاقا من سمعته و تأثيره و إدراكا منه لقوق أهل الكتاب الذين يعيشون في بلاد الإسلام فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، و إن ريحها لتوجد من سبعين عاما" ، و يقول أيضا : "إلا من ظلم معاهدا مثل أهل الذمة" أو كلّفه فوق طاقته، أو انتقصه حقه أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة" . وهكذا اوقف الأمير جيشها بإيقافه للفتنة، فأنقذ بذلك سورية من الاحتلال الفرنسي في القرن 19 م، وقد اكتسب الأمير عبد القادر إحترام العالم كله وأعطى صورة نموذجية للمسلم الذي يدافع عن وطنه و يعمل من أجل بناء بلاده و تقدمها، و يتسامح مع أصحاب الأديان الأخرى، و يتحلى بالأخلاق العالية و يحترم كلمته و عهوده، و بذلك الإحترام العالمي الذي اكتسبه شارك إلى جانب كبار قادة و ملوك العالم في احتفالات افتتاح قناة السويس في مصر عام 1869 م[1].

[1] بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر: من 1830 إلى 1989، دار المعرفة، الجزائر،د ط، 2006، ص 181.

ان دراسة شخصية تاريخية مثل شخصية الامير عبد القادر و انجازاته في الداخل و الخارج لكل بحث نستلزم مادة علمية و خاصة ارشيفية و نحن من خلال عملنا هذا و معالجتنا لهاته الاشكالية توصلنا الى مجموعة من الاستنتاجات في المرحلة الممتدة 1853الى 1860 ومن ابرزها:

- غادر فرنسا قاصدا بروسة التي وصل إليها يوم 17 جانفي 1853 م واستقر في بيت منحته إليه السلطات العثمانية، حيث قضى بها فترة من أوائل 1853 إلى أواخر سنة 1856.

- وصوله إلى بيروت في 24 من نوفمبر، وبعد الإقامة مدة قصيرة واصل رحلته إلى دمشق: لما كثرت الزلازل في مدينة بورصة وضواحيها، وشكلت أذى للسكان والمهاجرين، مما اضطر السلطان إلى السماح للأمير بالإقامة في نفي إلى دمشق.

- في العام 1855 وصل الزعيم والمجاهد الكبير الأمير عبد القادر الجزائري إلى دمشق بوصفها منفاه الاختياري الأخير.

- لعب دورا مهما في إطفاء الفتنة الطائفية بسوريا 1860.

- أنقذ خمسة عشر ألف نسمة ينتمون إلى الكنيسة الشرفية من الموت، بل مما هو أسوء من الموت بشجاعته النادرة.

- إنقاذه لقنصليي الدول المسيحية الذين كانوا يقيمون في دمشق.

الخاتمـــــــــــــة

خاتمة

من خلال دراستنا للمضوع توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات تمثّلت في:

أولاً: تعد الفترة الممتدة ما بين 1853 و1860 من أبرز المراحل التي شهدها الأمير عبد القادر في حياته ومقاومته كونها عرفت الكثير من الأحداث المهمة رغم أنه قضاها في المنفى.

ثانيًا: يمثّل النجاح الدبلوماسي الذي حققه الأمير من أهم أسباب علو شأنه ومكانته.

ثالثًا: كان وقف القتال مشروطا بنقله إلى عكا أو الاسكندرية بتدعيم من الجنرال لاموريسيير وموافقة الدوق دومال، إلا أن الخيانة وقعت باعتقال الأمير وعائلته وأصحابه فقضى سنة في طولون وأربع سنوات إقامة جبرية في أمبواز.

رابعًا: لعب دورا مهما في إطفاء الفتنة الطائفية بسوريا 1860، وأنقذ خمسة عشر ألف نسمة ينتمون إلى الكنيسة الشرفية من الموت، بل مما هو أسوء من الموت بشجاعته النادرة، وإنقاذه لقنصليي الدول المسيحية الذين كانوا يقيمون في دمشق.

خامسا: إنّ مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري حققت الكثير الإنتصارات أبهرت المستعمر نفسه وكتبت عنها الصحف والتقارير الفرنسية وأصبح شخصية عالمية لها الأثر الحسن في الكثير من السياسات وكذلك في المحافل الدولية.

سادسا: إنّ تاريخ المقاومة للأمير عبد القادر جدير بالدراسة وفق معطيات ووثائق خاصة الأرشيفية.

الملاحق

الملحق 01 خريطة مقاومة الأمير عبد القادر[1]

[1] خرائط الانتشار الجغرافي للثورات الشعبية، https://tribusalgeriennes.wordpress.com، 2019/02/01/ ، مقاومة الأمير عبد القادر، 2023/05/22.

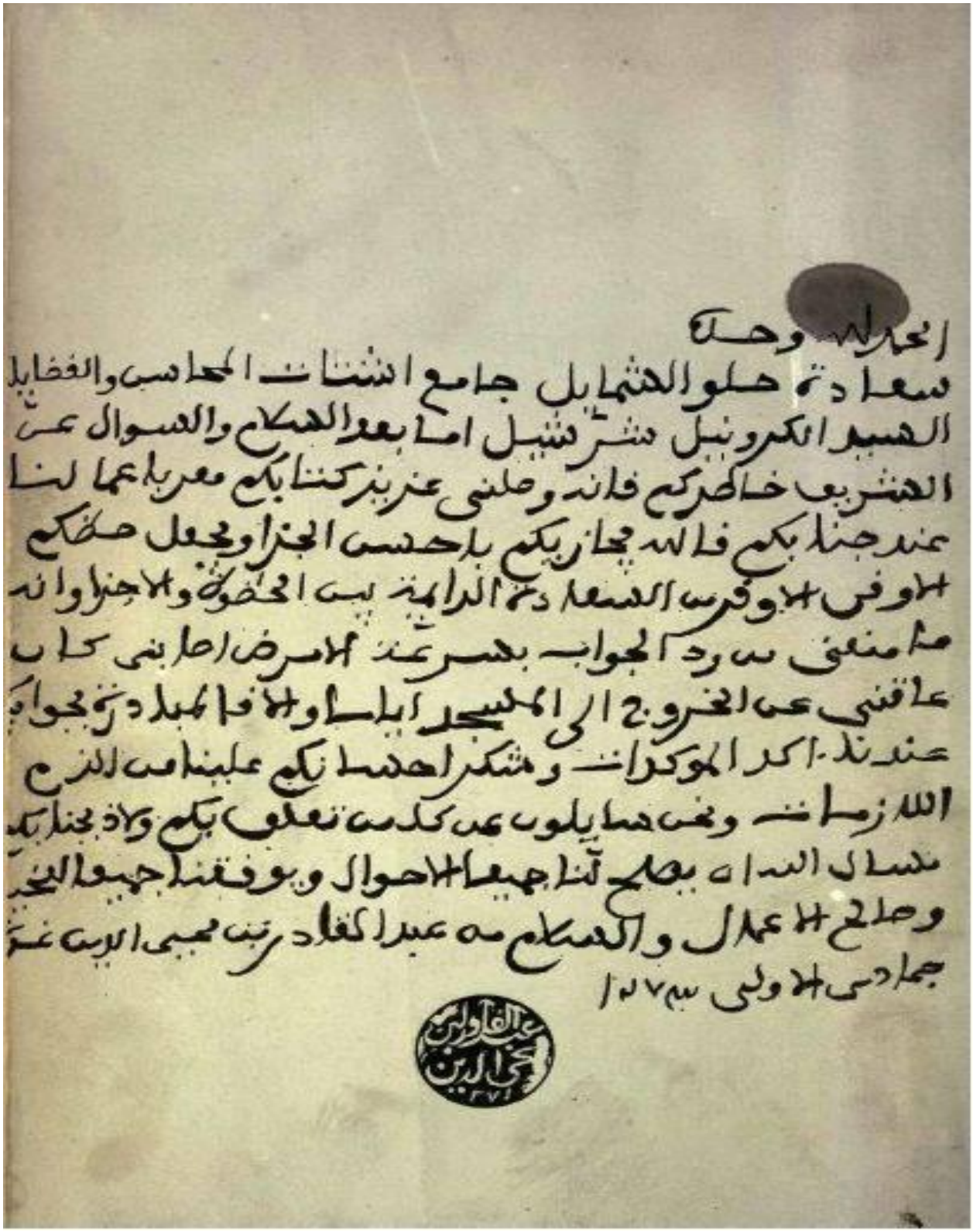

الملحق 02 رسالة شكر من الأمير عبد القادر إلى تشرشل[2]

[2] جريدة الوطن العمانية، العثور على 11 رسالة كتبها عبد القادر الجزائري إلى صديقه تشرشل، 2016/11/12، https://alwatan.com/details/151345، 2023/05/22.

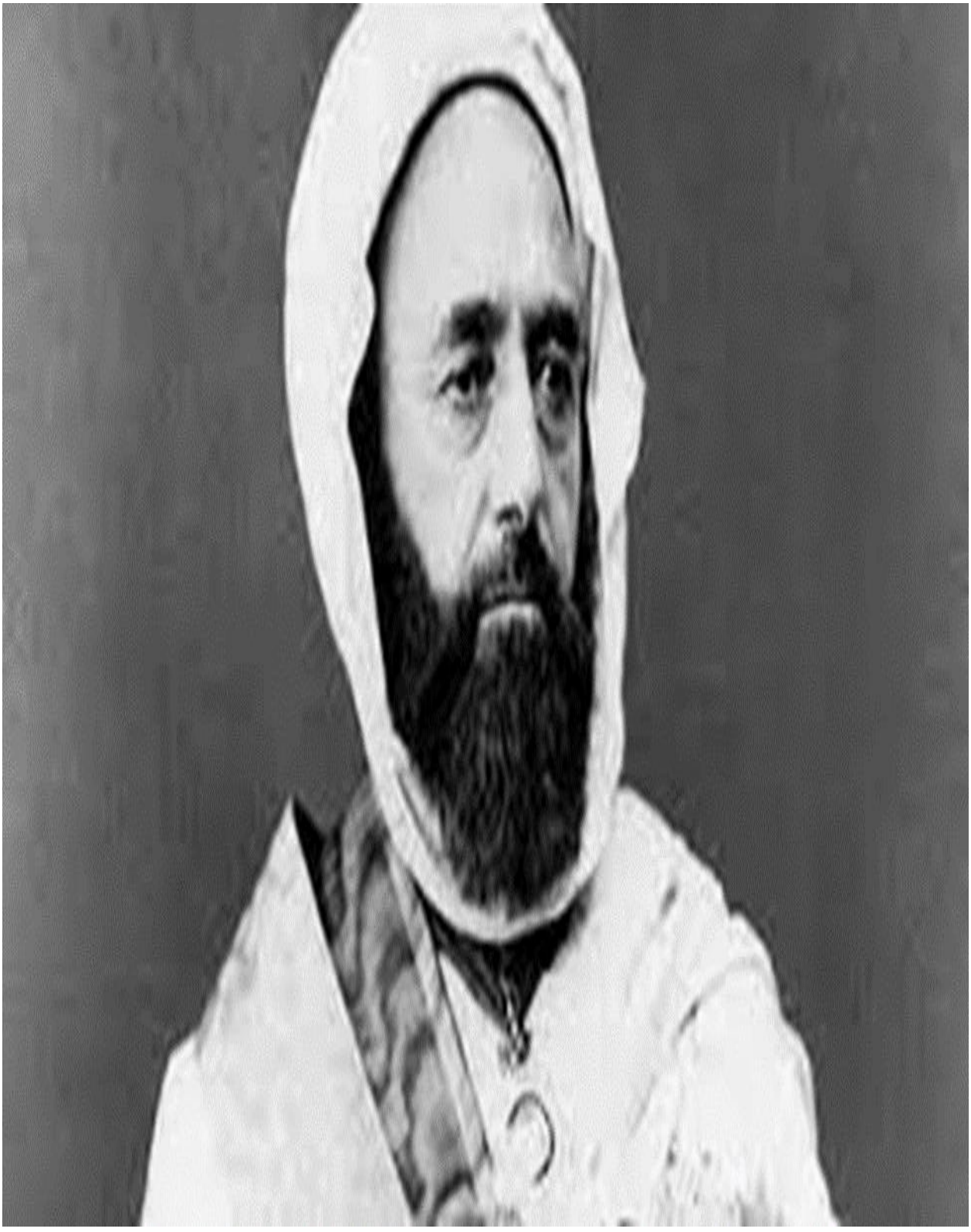

الملحق 03 صورة الأمير عبد القادر[3]

[3] ويكيبيدا، https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_القادر_الجزائري، 2023/05/22.

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ الكتب

أ- آمال بن سمشة، الأداء البشري في الإدارة المحلية، د ط، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان-الأردن، 2018.

ب- بديعة الحسني الجزائري، طائر في سماء المجد الشهيد الأمير عز الدين الحسني الجزائري، د ط، دار الفكر المعاصر، القاهرة-مصر، 2007.

ت- بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق، د ط، دار الفكر المعاصر، دمشق-سوريا، 2000.

ث- برونو إيتيين، الأمير عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، دار الفرابي، بيروت، ط 1، 1997.

ج-بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر: من 1830 إلى 1989، دار المعرفة، الجزائر،د ط، 2006.

ح-خالد بوهند، النخب الجزائرية: 1892-1942، د ط، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة-قطر، 2020.

خ-سليم سوسن، الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د ط، 1985.

د- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1974.

ذ- د. الصلابي علي محمد ، الامير عبد القادر محيي الدين الجزائري قائد رباني.

ر-د. الصلابي علي محمد، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، ج 1، د ط، دار المعرفة، بيروت-لبنان، د ت.

ز- مجاهد إسلامي، د ط، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان-الأردن، د ت.

س- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح ابو حسن شكر، الإحياء بعد الإنساء، ج 2، ط 1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011.

ش- عبد القادر الجزائري، بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات

ص- المراتب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2004.

ض- محمد باشا ابن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج 1، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2013

ط-ملتقى أهل الحديث، أرشيف ملتقى أهل الحديث، ج 97، المكتبة الشاملة، د ط، 2010.

ظ-ملتقيات الفكر الإسلامي، محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، ج 1، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، د ط، 2005.

ع-واسيني الأعرج، الأمير2 غريب الديار، دار الآداب، بيروت، د ط، 2019.

ثانيا/ المجلات والمقالات

أ- بوضرساية بوعزة «مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الاستراتيجية العسكرية للمقاومات الامير عبد القادر والحاج احمد باي انموذجا» جامعة الجزائر 2، ع 17، 2011.

ب- جريدة الوطن العمانية، العثور على 11 رسالة كتبها عبد القادر الجزائري إلى صديقه تشرشل، 2016/11/12، https://alwatan.com/details/151345، 22/05/2023.

ت- زبيري بومدين «إقامة الأمير عبد القادر في مدينة بورصة (3581-3581م) بين الكتابات الغربية والوثائق العثمانية» مجلة المعيار، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، مجلد 24، ع 51، 2020.

ثالثا/ مواقع الأنترنت

أ- خرائط الانتشار الجغرافي للثورات الشعبية، https://tribusalgeriennes.wordpress.com، 2019/02/01/ ، مقاومة الأمير عبد القادر، 2023/05/22.

ب- ويكيبيدا، https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_القادر_الجزائري، 2023/05/22.

مـــلخص البـــحث

الملخص:

قمنا في هذا البحث بدراسة نتائج مقاومة الأمير عبد القادر من 1853 إلى 1860 داخليا وخارجيا، وتوصّلنا من خلاله إلى أنّ عبد القادر الجزائري من أبرز والشخصيات الوطنية التي قاومت الاحتلال الفرنسي، وقد شهدت فترة حياته محطات مهمة، وأبرزها ما تعلق بالمقاومة سواء داخل الجزائر أم خارجها والتي كانت لها نتائج بارزة على المستويين الداخلي والخارجي ولا سيما في الفترة الممتدة ما بين 1853 و1860، والتي قضاها في المنفى القسري من مدينة بروسة إلى دمشق، ورغم ذلك واصل مقاومته للاحتلال من المنفى، حيث كانت له دور بارز في تلك الفترة أثناء نفيه، فقد لعب دورا مهما في إطفاء الفتنة الطائفية بسوريا 1860، وأنقذ خمسة عشر ألف نسمة ينتمون إلى الكنيسة الشرفية من الموت، بل مما هو أسوء من الموت بشجاعته النادرة، كما أنه انقذ قنصليي الدول المسيحية الذين كانوا يقيمون في دمشق.

فـهرس المـحتويـات

محتويات البحث

كلمة شكر

الإهداء

مقدمة.....أ-د

الفصل الأوّل: سيرة الأمير عبد القادر ودولته وجيشه.....**06-30**

المبحث الأول: سيرة الأمير عبد القادر.....**07-20**

المطلب الأول: نسب الأمير عبد القادر ومولده ونشأته وأسرته.....07-12

1/ نسبه.....07-08

2/ مولده ونشأته.....08-10

3/ أسرته.....10-12

المطلب الثاني: بيعة الأمير عبد القادر ودولته.....12-20

1/ بيعة الأمير عبد القادر.....12-15

2/ وضعية البلاد عند مبايعة الأمير.....15-17

3/ دولة الأمير عبد القادر.....18-20

المبحث الثاني: جيش الأمير عبد القادر ومقاومته.....**20-29**

المطلب الأول: تأسيس الجيش النظامي.....20-22

المطلب الثاني: هيكلة الجيش النظامي.....22-24

المطلب الثالث: مقاومة الأمير عبد القادر.....24-26

المطلب الرابع: بطولة الأمير ودبلوماسيته واعتراف العدو بدولته.....26-28

المطلب الخامس: هزيمة الأمير عبد القادر ووقوعه في الأسر ووفاته.....28-29

الفصل الثّاني: نتائج مقاومة الأمير عبد القادر ما بين (1853-1860) داخل الجزائر وخارجها..... 32-50

المبحث الأول: حياة الأمير عبد القادر خلال الفترة "1853م-1860م" وأهم أحداثها.....36-57

المطلب الأول: حياة الأمير عبد القادر في الفترة الممتدة من 1853 و1860 33-45

المطلب الثاني: أهم الأحداث والإنجازات في حياة الأمير عبد القادر في الفترة الممتدة من 1853 و1860.....45-46

المبحث الثاني: نتائج مقاومة الأمير عبد القادر ما بين (1853-1860)

.....46-49

المطلب الأول: نتائج مقاومة الأمير عبد القادر خارج الجزائر ما بين (1853-1860) 46-49

الخاتمة.....52

الملاحق.....54-56

قائمة المصادر والمراجع.....58-60

الملخص.....**62**

الفهرس.....**64-66**